

مجلة البيان - العدد ١٥ ، ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ / ديسمبر ١٩٨٨ م

الافتتاحية

تروير التاريخ

بعض من يطلقون على أنفسهم صفة دارسي التاريخ روجوا - ويروجون - مقولات لا يسامون من تردیدها وتکرارها ، وهذه المقولات لا تساق في معرض وضع وتحديد الأسس الصحيحة لدراسة التاريخ ، بل تقدم في ثنایا حديثهم الموجه دائمًا للهجوم على كل ما له صلة بالإسلام ، فيتخذونها تکأة للتفیر من الرموز الإسلامية: حضارة وشخصيات، ودعوة لنبذ كل ما له علاقة بهذا التاريخ تحت دعاوى أصبحت مملولة وممجوحة مثل: التطور ، التقدم ، النهضة ، التحرر.. وهؤلاء الذين اتخذوا التاريخ مجالاً لنفث سمومهم غالباً ما يخرجون بنتيجة ، هي: أننا حتى نبراً من تلك العيوب - التي توصلوا إليها بدراستهم القاصرة ، ونياتهم الفاسدة - ، لا بد لنا من اتخاذ العلمانية مبدئاً للحياة ، فنفرق بين ما هو دين وما هو دنيا ، ونعطي ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، ونقيم حياتنا على العلم بعيد عن العواطف ، ونبنيها على التخطيط الذي يعطي نتائج محابدة ، ونتيج تكافؤ الفرص للجميع ، فيعطي كل ما يستحقه ، ونخرج من دوامة الاختلاف والتفرق ، وهكذا لا يكون التاريخ حکراً على شخص أو أشخاص، وإنما يقوم على جهد جماعي يؤدي كل فرد فيه واجبه ، ويعرف له حقه.

هذا هو مجمل الفكرة التي تدور في فكر الذين أرادوا للأجيال الإسلامية - في ظل الاستعمار الغربي - أن ترسخ في نفوسهم ، واستدلوا عليها بصنوف من التروير والتهويش ، فرموا التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ أشخاص، وأبرزوا من هذا التاريخ كل الجوانب السلبية ، وكتموا كل الجوانب المضيئة ، وحملوا الإسلام والحضارة الإسلامية وزر كل مخالف عاش في ظلالها ، ومرغوا - بكل خسّة ووقاحة وظلم واضح - كل الصفحات المشرقة بالتراب ، وسودوا الكتب الكثيرة بأهواء نفوسهم وخزايهم ، وأسقطوا على كل مكرمة عيوبهم فاستحالـت مثلاً ، وسلبوا حق الدفاع من المتهم ، فكانوا خصوماً وقضاء في ثوب واحد. هكذا كان ، وهكذا انكشف عن المسلمين عصر ، وحل عصر.

ماذا نجد إذا نظرنا خلفنا خلال قرن ، وهي الفترة التي نُحْيِي الإسلام بالقوة عن أن يقول كلمته في حياة الناس؟

يكفيـنا في هذا المجال أن ننظر إلى هدفين من أهداف العلمانيـين هـما: العلمانية نفسها ، ثم الحرية.

أما إذا نظرنا إلى الهدف الأول ، وهو العلمانية:

فلا أحد يستطيع القول: إن المسلمين يعيشـون في ظل شـرعـية إسلامـية ، (وـهـذا لـحسن حـظـ من يـشمـئـزـونـ عند ذـكرـ الإـسـلامـ) ، حتـىـ الزـاوـيـةـ الضـيـقـةـ جـداـ التيـ سـمـحـ لـالـإـسـلامـ عنـ غـيرـ طـيبـ خـاطـرـ طـبعـاـ - أنـ يـبـقـىـ فـيـهاـ، وـهـيـ زـاوـيـةـ الـأـحـوالـ الشـخـصـيـةـ، تـتـحـيـفـ مـرـةـ منـ هـنـاـ، وـمـرـةـ منـ هـنـاكـ، وـيـاماـ أـكـثـرـ الـمـنـاسـبـاتـ الـتـيـ رـأـيـناـ وـسـمـعـنـاـ وـقـرـأـنـاـ عـنـهـاـ، حـيـثـ يـقـفـ سـاقـطـ أوـ سـاقـطـةـ يـتـنـقـصـ أـخـصـ ماـ يـخـصـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ أـحـكـامـ كـالـطـلاقـ، وـتـعـدـ الـزـوـجـاتـ، وـمـسـائـلـ الـإـرـثـ، وـالـوـلـاـيـةـ فـيـ الزـوـاجـ وـغـيرـ ذـلـكـ،

ويصب جام غضبه على هذا الدين وأهله، بين تصفيق السفهاء وتشجيع المشجعين، دون أن يؤذن لمسلم بالرد على هذه التهجمات المسعورة والترهات الباطلة.

لقد خلت الساحة للعلمانية أن تسود ، وبعد أن كانت مطحأً لدعوة التغريب في أواخر عهد الدولة العثمانية ، أصبحت حقيقة واقعة بعد القضاء عليها ، وتولت فرضها بالحديد والنار الدول الصليبية المستعمرة ، ثم النخبُ الحاكمة المستظهرة بها بعد ذلك.

ولكن آية علمانية تلك التي طبقت على العالم الإسلامي؛ هل هي العلمانية الغربية بنصها، والتي كانت المثل الأعلى والنموذج المحتدى؟
لا!

ففي حين نادت علمانية الغرب بالفصل بين الكنيسة والدولة، وجعلت كل جبهة مستقلة كل الاستقلال عن الأخرى؛ فلا الكنيسة تتدخل بشؤون الدولة، ولا الدولة تتدخل بشؤون الكنيسة ونشاطها الخاص، وليس لها كلمة لا في إرسالياتها، ولا في برامجها داخل الكنيسة، ولا في أوقافها، وأموالها. نقول: بينما كانت علمانية الغرب المقتدى به هي هذه، إذا بنا نرى علمانية أخرى كأنما صنعت لنا خصيصاً،

فلم تكُنْ تصلح إلا (لنا) ولم (نك نصلح) إلا لها!!!

علمانية تفترس كل شيء ، وتتدخل في كل شيء ، وتجتاح كل شيء ، حتى البيوت والمساجد ، لا تتدخل في أخص خصائص الإسلام فحسب ؛ بل هي التي تفتدي وتشريع وتحدد للمسلم: ماذا يجب أن يقرأ ، وماذا يجب أن يسمع ، وماذا يجب أن يأخذ ، وماذا يجب أن يدع ، علمانية تعطي الحرية لكل الأديان إلا الإسلام ، وتتأدب عند دخول كل معابد الملل والنحل إلا الإسلام .
فهل آل أمر العلمانية إلى أن تصير إلى هذه الصورة؟، وهل على المسلم من سبيل إذا ما طوى جوانحه على مقت هذه العلمانية ، ومقت دعاتها ، وأسرّ وجهر بالبراءة منها ، وترbusـ بها حتى يحين موعد رميها في وجوه أصحابها؟!

إن الباحث في تاريخ تطبيق العلمانية على الشعوب الإسلامية ليهوله أن يرى أن كل الكوارث التي حلت بهم مرجعها إلى هذه الوصفة الحمقاء ، ولا أحد يستطيع أن يدعي أن ما نعاني منه، وما عانينا خلال الفترة السابقة، قد حصل في ظل هيمنة إسلامية، أو توجه له أدنى علاقة بالإسلام كنظام مستقل متفرد شامل، بل إن الانهيار الاقتصادي المتمثل بالديون التي ترافق كاهل الشعوب الإسلامية؛ والأزمات التي تشغّل بها، والانهيار الحضاري المتمثل في فقدان الثقة بالنفس؛ وشيوخ الاتكالية، والفساد، والسلط، والبطالة المقنعة، وضعف الكفايات، وهجرة الأدمغة .. كل ذلك هو بعض أعراض فصل المجتمعات الإسلامية عن قيمها التي تستمد منها مبرر وجودها ، هذه القيم التي لا يمكن أن نجد لها مصدراً صحيحاً خارج الإسلام.
الهدف الثاني هو : الحرية.

والحرية شعار ومصطلح قد يثير الالتباس، ويعطي معاني مختلفة باختلاف الأمكنة والأزمنة التي يرفع فيها، وباختلاف الأشخاص الذين يرفعونه.

فبينما كانت الحرية تعني في عصر الاستعمار إخراجه من البلاد، والاستقلال عن وصايتها وتدخله في شؤون الشعوب المستعمرة! أصبحت بعد الاستقلال شعاراً يحمل مضامين أخرى:
- فهي عند عبيد الغرب: التحرر من سيطرة الأفكار الإسلامية.
- وهي عند فريق من الفقراء: التحرر من سلط الأغنياء والرأسماليين.
- وهي عند الأقليات: التحرر من سلطان الأغلبية ، وهكذا..

وفي ظل الغموض الذي يحيط بهذا الاصطلاح الفضفاض الذي فتن - وما زال يفتن - الناس تسربت إلى حياتنا مؤثرات نعاني أشد المعاناة من أجل التخلص منها، وانقلب معنى الحرية في كثير من الأحيان إلى ضده، وتغلق وانحصر في أحياناً أخرى لينعم بخيره فرد أو عائلة أو طبقة صغيرة أو نخبة هي التي تملك حق فهم معناه وشرحه وتفسيره ، ووضع الحواشي والتعليقات على متنه ؛ أما غيرها ممن هو خارج نطاق هذا الأكليروس(١) الزائف فليس له إلا حق السمع والطاعة.

من قال: إن حكم الكنائس في العصور الوسطى قد ولّى بعد الثورة الفرنسية إلى غير رجعة؟! لقد انتقل عبر ما يسمى بعملية "تناسخ الأرواح" لتحل روحه في عصر ما بعد الاستعمار !!

إن من بركات الحرية التي نعيش فيها أن يضرب بحجاب صفيق على كل الحوادث والشخصيات التي كان لها أثر لا يمكن إنكاره في تحرر الشعوب من شرور المستعمرات الغاصبين، وإيقائهما في الظل، وبتر كل ما يتعلق بها من الكتب والدوريات، في حين توجه الأنظار والأفكار إلى شخص واحد من أجل غرس حقيقة: أن الأمة قد خلقت من أظافر قدميه، وخيراتها نبعث من تحت أحصيه!

إن أمة يقودها فرد يقنع نفسه بذلك، ويصدق تملق المتملقين الذين يخدعونه بتملقهم الرخيص هذا، فيسلطهم على رقاب العباد والبلاد، لهي أمة مقضى عليها بالفشل في أي مجال تخوض. آخر ما حملته الأخبار: أن الحكومة التونسية قد أعادت الاعتبار إلى الشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد أن أسدل عليه ستار كثيف من التجاهل المتعمد والإهمال المفترض طيلة حكم بورقيبة.

والشيخ عبد العزيز الثعالبي (١٨٧٤-١٩٤٤) زعيم تونسي، وخطيب، وكاتب، أبرز مناهضي الاستعمار الفرنسي، نفته فرنسا من تونس، فعاش متنقلًا بين مصر وسوريا والعراق والجazار والهند، مشاركاً في الحركات الوطنية، مقاوماً الاستعمار الفرنسي، عاملاً على التعاون بين حركات التحرير في بلاد المغرب العربي.

ناواه بورقيبة وأنصاره العداء لأنه أراد الحفاظ على هوية تونس العربية الإسلامية ، بينما أراد هؤلاء ربطها بالغرب ، وبفرنسا خاصة ، وعمل بورقيبة خلال حكمه على محاربة الشيخ الثعالبي وتصفية دوره من كتب التاريخ ، بل أصبح يتهاجم عليه كثيراً في خطبه.

ما الجريمة التي اقترفها الشيخ الثعالبي فدعت الحكم السابق أن يصب عليه جام سفهه وغضبه؟ ليس إلا اعتباره تونس بلداً عربياً إسلامياً ، وليس ولاية من ولايات فرنسا ، ولا تربطها بأوروبا أية صلة.

ليس الغرض من الحديث عن الشيخ الثعالبي باعتباره فرداً ؛ ولكن الهدف الإشارة إلى ما يمثله من قيم وفكر وتوجه ، وكذلك ليس القصد هنا شن هجوم على حاكم تونس السابق بعد أن جرد من سلطاته ، واستراح الناس من هيله وهيلمانه - فهذا متروك للتاريخ الذي احتكره لنفسه قرابة أربعين عاماً - وإنما القصد: الوصول إلى ما كان يمثله من أفكار "العلمانية المصنعة" ، والحرية " حرية بطانته" التي ربطت بلداً عربياً إسلامياً ربطاً متعسفًا بالغرب ، وحوّلت إلی منتجع يعيث به هؤلاء فساداً ، بينما عاش التونسي أزمات خانقة، ليس له من الأمر شيء ، إلا أن ينام ويصحو على أخبار دمى يتلاعب بها ذاك الأفلاك العابث الأثيم.

كذلك لم نشر إلى هذه الحادثة إلا إشارة؛ لأنها تمثل ظاهرة في تاريخنا الحديث في كثير من البلاد الإسلامية: يُعلّم الناس بأكاذيب ، وتنلى على أسماعهم أباطيل فترة تطول أو تقصر ، ثم يأتي الله بأمره،((فَإِنَّمَا الرَّبُّ ذَيْلُهُ جُهَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)).

(١) - الأكليروس: طبقة رجال الدين عند النصارى الذين لهم الحق في تفسير الأنجليل.

وقفه مع آية

((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا))

[الإسراء: ٩]

... ومن هدي القرآن الذي هو أقوم؛ هديه إلى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، فما خيله أعداء الدين لضعف العقول ممن ينتهي إلى الإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطلٌ لا أساس له ، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين، والتحلي بآدابه الكريمة، وتعاليمه السماوية، قال تعالى: ((وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ))، وقال: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاؤُودَ مِنَا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالظَّيرَ وَأَنَا لَهُ الْحَدِيدُ * أَنْ اعْمَلَ سَابَقَاتٍ وَقَدْرٌ فِي السَّرْدِ)) يدل على الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين الحنيف، وداود من أنبياء "سورة الأنعام" المذكورين فيها في قوله تعالى ((وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُودٌ))، وقد قال تعالى مخاطباً لنبينا صلى الله عليه وسلم- وعليهم بعد أن ذكرهم: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ أَفْتَدُهُ)).

وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن مجاهد أنه سأله ابن عباس- رضي الله عنهما- من أين أخذت السجدة في "ص"؟، فقال: أو ما تقرأ: ((وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاؤُودٌ... أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِمَا هُمْ أَفْتَدُهُ))، فسجدها داود ، فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم-.

فدل ذلك على أنا مخاطبون بما تضمنته الآية مما أمر به داود. فعلىينا أن نستعد لكافح العدو مع التمسك بديننا ، وانظر قوله تعالى: ((وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ)) ، فهو أمر جازم بإعداد كل ما في القدرة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت. فهو أمر جازم بمسيرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطور جديد ، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين.

"أضواء البيان" - للشيخ الشنقيطي (٣٩٦ / ٣ - ٣٩٧).

حجر المبدع

الشيخ بكر أبو زيد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد: فإنه في حال من انفتاح ما كان يخشاه النبي صلى الله عليه وسلم- على أمته في قوله - عليه الصلاة والسلام-: (أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسواها ، وتهلككم كما أهلكتهم) (١). وانفتاح العالم بعضه على بعض ، حتى كثرت في ديار الإسلام الأخلاط، وداحت الأعاجم العرب ، وكثير فيهم أهل الفرق ، يحملون معهم جراثيم المرض العقدي والسلوكي.

وفي وسط من تداعي الأئمّة كما قال حصلى الله عليه وسلم -(يوشك أن تداعى عليكم الأئمّة من كل أفق...) ، وأمام هذا: غياب رؤوس أهل العلم حيناً ، وقعودهم عن تبصير الأمة في الاعتقاد أحياناً ، وفي حال غفلة سرت إلى مناهج التعليم بضعف التأهيل العقدي ، وتبسيط مسلمات الاعتقاد في أفئدة الشباب ، وقيام عوامل الصد والصدود عن غرس العقيدة السلفية وتعاهدها في عقول الأمة. في أسباب تمور بال المسلمين موراً ، يجمعها غaitan:

الأولى: كسر حاجز "الولاء والبراء" بين المسلم والكافر، وبين السنّي والبدعي، وهو ما يسمى في التركيب المولّد باسم: "ال حاجز النفسي" ، فيكسر تحت شعارات مضللة: "التسامح" "تأليف القلوب" "نبذ الشذوذ والتطرف والتعصب" ، "الإنسانية"(٣)، ونحوها من الألفاظ ذات البريق، والتي حقيقتها "مؤامرات تخريبية" تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميّز وعلى الإسلام.

الثانية: فُشو الأممية الدينية" حتى ينفرط العقد وتتمزق الأمة ، ويسقط المسلم بلا ثمن في أيديهم وتحت لواء حزبياتهم ، إلى غير ذلك مما يعايشه المسلمون في قالب: "أزمة فكرية غاثائية حادة" أفقدتهم التوازن في حياتهم ، وزلزلت السند الاجتماعي للمسلم "وحدة العقيدة" ، كلّ بقدر ما علّ من هذه الأسباب ونهل ، فصار الدخل ، وثار الدخن وضعفت البصيرة ، ووجد أهل الأهواء والبدع مجالاً فسيحاً لنثر بدعهم ونشرها ، حتى أصبحت في كف كل لافظ ، وذلك من كل أمر تعبدى محدث لا دليل عليه" خارج عن دائرة وقف العبادات على النص وموارده".

فامتدت من المبتدعة الأعناق ، وظهر الزيف ، وعاثوا في الأرض الفساد ، وتجارت الأهواء بأقوام بعد أقوام ، فكم سمعنا بالآلاف من المسلمين وبالبلد من ديار الإسلام يعتقدون طرقاً ونحلاً محاجها الإسلام.

إلى آخر ما هنالك من الولايات ، التي يتقلب المسلمون في حرارتها ، ويتجرون مراتتها ، وإن كان أهل الأهواء في بعض الولايات الإسلامية هم: مغمورون، مقموعون، وبدعمهم مغمورة مقهورة، بل منهم كثير يؤمنون لرشدهم ، فحمدًا لله على توفيقه، لكن من ورائهم سرب يحاولون اقتحام العقبة ، لكسر الحاجز النفسي وتكثيف الأممية الدينية في ظواهر لا يخفى ظهور بصماتها في ساحة المعاصرة وأمام العين الباقرة.

والشأن هنا في تذكير المسلم بالأسباب الشرعية الواقعية من "المد البدعي" ، واستشرائه بين المسلمين ، والوعاء الشامل لهذه الذكرى":

القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة ، والتبصير في الدين ، وتخليص المنطقة الإسلامية من شوائب البدع والخرافات والأهواء والضلالات ، وتبسيط قواعد الاعتقاد السلفي المتميّز على ضوء الكتاب والسنة في نفوس الأمة.

ومن أبرز معالم التميّز العقدي فيها ، وبالغ الحفاوة بالسنة والاعتصام بها ، وحفظ بيوضه الإسلام عمما يدنسها:

نصب عامل "الولاء والبراء" فيها ، ومنه: إزالة العقوبات الشرعية على المبتدعة، إذا ذكروا فلم يتذكروا، ونهوا فلم ينتهوا، إعمالاً لاستصلاحهم وهدايتهم وأوبتهم بعد غربتهم في مهافي البدع والضياع، وتشبيهاً للحاجز بين السنة والبدعة، وحاجز النفرة بين السنّي والبدعي، وقمعاً للمبتدعة وبدعمهم، وتحجيمها لهم ولها عن الفساد في الأرض، وتسرب الزيف في الاعتقاد، ليبقى الظهور للسنن صافية من الكدر ، نقية من علائق الأهواء وشوائب البدع، جارية على منهاج النبوة ووقف الأثر، وفي ظهور السنة أعظم دعوة إليها ودلالة عليها، وهذا كلّه عين النصح للأمة.

فالبصيرة إذاً في العقوبات الشرعية للمبتدع: باب من الفقه الأكبر كبير ، و شأنه عظيم ، وهو رأس في واجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأصل من أصول الاعتقاد بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ، ولهذا تراه بارز المعلم في كتب الاعتقاد السلفي "اعتقاد أهل السنة والجماعة". كل هذا تحت سلطان القاعدة العقدية الكبرى "الولاء والبراء" (٤) التي مدارها على الحب والبغض في الله تعالى ، الذي هو "أصل الدين" وعليه تدور رحى العبودية. وهذه العقوبات الشرعية التي كان يتعامل بها السلف مع أهل البدع والأهواء ، متنوعة ومتحدة في مجالات:

الرواية ، والشهادة ، والصلة خلفهم وعليهم ، وعدم توليتهم مناصب العدالة كالأمامية والقضاء ، والتحذير منهم ومن بدعهم وتعزيزهم بالهجر ، إلى آخر ما تراه مروياً في كتب السنة والاعتقاد، مما حررت مجموعه في "أصول الإسلام لدرء البدع عن الأحكام".

وما في هذه الرسالة هو في خصوص "الزجر بالهجر للمبتدع ديانة" (٥) لأهميته في التمييز ، والردع ، وعموم المطالبة به ، ولأنه أصبح في الغالب من "السنن المهجورة" ، تحت العوامل المذكورة في صدر هذه المقدمة ، لهذا رأيت إفراده بهذه الرسالة إحياءً لهذه السنة ، ونشرًا لها بضوابطها الشرعية التي تحفظ للمبتدع كرامته مسلماً ، وتكشف بدعته بوصفه مبتعداً ، ما لم تكن مكفرة ببدعه: القدر (٦) ، والباب ، والبهاء... وتحفظ على أهل السنة والجماعة كف بدعه ومداخلتها في صفوهم ، وهذا واجب باتفاق المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في بيان وجوب النصح لصالح الإسلام والمسلمين: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة لكتاب والسنة ، أو العبادات المخالفة لكتاب والسنة ، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين ، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ ؛ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل ، فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعيته ، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ، ولو لا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً" (٧). هـ.

هذا وما سيم نظرك عليه في هذه الرسالة ، فإنه ينتظم في جملته: أحكام الهجر الشرعي للكافر والمبتدع الضال ببدعته والعاصي المجاهر بمعصيته ، لكن صار نسج الكلام وجلب الروايات والنقل في "هجر المبتدع" ، لأن ضرره أعظم وخطره أشد ، كما مر بك في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ، ويأتي له نظائر إن شاء الله تعالى.

وتتجد رؤوس المعتبرات في هذه الرسالة على ما يلي:

١ - مقاصد الإسلام في الهجر.

٢ - أنواعه.

٣ - شروطه.

٤ - صفتة.

٥ - منزلة هجر المبتدع من الاعتقاد.

٦ - الأدلة العلمية من الكتاب والسنة والإجماع.

٧ - إعمال الصحابة فمن بعدهم له في مواجهة المبتدع.

٨ - ضوابط الهجر في الشرع.

٩ - عقوبة من والى المبتدةة.

١٠ - التحذير من إشاعة البدعة.

فاللهم "ارزقنا هدياً قاصداً" (٨) و "جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء".

المبحث الأول

مقاصد الإسلام في الهجر:

فوائد الهجر للمبتدع التي قصدها الشرع كثيرة ، منها ما يعود إلى الهاجرين القائمين بهذه الوظيفة الشرعية العقدية ، ومنها ما يعود إلى المهجور وإلى عامة المسلمين ، وإلى حماية السنن من البدع والأهواء ، فالهجر الشرعي ومنه "هجر المبتدةة": عقوبة زجرية متعددة الغايات والمقاصد الشرعية المحمودة ، وهي على ما يلي:

١ - أن "الزجر بالهجر" عقوبة شرعية للمهجور ، فهي من جنس الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ، وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تقرباً إلى الله تعالى بواجب الحب والبغض فيه سبحانه وتعالى.

٢ - بعث اليقظة في نفوس المسلمين من الواقع في هذه البدعة وتحذيرهم.

٣ - تحجيم انتشار البدعة.

٤ - قمع المبتدع وزجره ، ليضعف عن نشر بدعته ، فإنه إذا حصلت مقاطعته والنفرة منه بات كالثعلب في جحره.

أما معاشرته ومخالطته ، وترك تحسيسه ببدعته: فهذا تزكية له ، وتنشيط وتغريير بال العامة ، إذ العامي مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالباً ، فلا بد إذاً من الحجر على المبتدع استصلاحاً للديانة وأحوال الجماعة ، وهو ألزم من الحجر الصحي لاستصلاح الأبدان.

وبعد أن نقل الشاطبي -رحمه الله تعالى- بعض الآثار في النهي عن توقير المبتدع، قال:
"فإن الإيواء يجامع التوقير ، ووجه ذلك ظاهر ، لأن المشي إليه والتوقير له تعظيم له لأجل بدعته ، وقد علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من هذا ، كالضرب والقتل ، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام ، وإنقاذه وبنافيه ، والإسلام لا ينهم إلا بترك العمل به والعمل بما ينافيء.

وأيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لفسدتين تعودان بالهمم على الإسلام:
أحدهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير ، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس ، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره ، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنة على سنته.
والثانية: أنه إذا وقر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على انتشار الابداع في كل شيء.

وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن ، وهو هدم الإسلام بعينه... "ا. ه (٩).

٥ - إعطاء ضمانة للسنن من شائبة البدع ومداخلتها لصفاء السنن. والله أعلم.

المبحث الثاني

أنواع الهجر: وهي ثلاثة:

الأول: الهجر ديانة ، أي: "الهجر لحق الله تعالى" وهو من عمل أهل التقوى ، في: هجر السيئة ، وهجر فاعلها ، مبتدعاً أو عاصياً.

وهذا النوع من الهجر للفجار على قسمين:

١ - هجر ترك: بمعنى هجر السيئات ، وهجر قرناء السوء الذين تضره صحبتهم إلا لحاجة أو مصلحة راجحة.

قال الله تعالى: ((والرُّجْزَ فَاهْجُرْ)) ، وقال سبحانه: ((وَاهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا)). وقال تعالى: ((وإذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِينَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (١٠).

وقال تعالى: ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بَهَا وَيُسْتَهْزِءُ بَهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مُّتَنَاهُمْ)) ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه).

٢ - هجر تعزير: وهذا من العقوبات الشرعية التبصيرية التي يوقعها المسلم على الفجار كالمبتدع ، على وجه التأديب ، في دائرة الضوابط الشرعية للهجر ، حتى يتوب المبتدع ويفيء . وهذا القسم هو الذي تدور عليه الأبحاث في هذه الرسالة المباركة.

وهذا النوع بقسمييه من أصول الاعتقاد ، والأمر فيه أمر إيجاب في أصل الشرع ، ومحاشه في كتب السنن والتوحيد والاعتقاد وغيرها.

تنبيه: في هجر الكافر:

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى:-

"قال الطبرى: قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعا�ي، وقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا ولا يشرع هجران الكافر ، وهو أشد جرمًا منهما لكونهم من أهل التوحيد في الجملة".

وأجاب ابن بطال: بأن الله أحکاماً فيها مصالح العباد وهو أعلم بشأنها وعليهم التسليم لأمره فيها، فجنب إلى أنه تبعد لا يعقل معناه.

وأجاب غيره: بأن الهجران على مرتبتين: الهجران بالقلب ، والهجران باللسان ، فهجران الكافر بالقلب وبترك التودد والتعاون والتناصر لا سيما إذا كان حرباً ، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره ، بخلاف العاصي المسلم فإنه ينجزر بذلك غالباً ، ويشترك كل من الكافر والعاصي في مشروعية مكالمته بالداعاء إلى الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما المشروع ترك المكالمة بالموافقة ونحوها "أ.هـ(11)".

والظاهر ما قاله النووي -رحمه الله تعالى- من أن للمسلم هجر الكافر من غير تقييد (١٢)، لما هو معلوم من الأصل الشرعي العام من تحريم موالاة الكفار ، والتحذير من موادتهم وتعظيم ما يؤدي إلى ذلك ، ونصب الأسباب الموصلة إلى ظهور المسلم عليهم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروههم إلى أضيقه" رواه أحمد ومسلم وغيرهما. والنصوص في تحريم موالاة الكافرين من الكتاب والسنة وأثار السلف كثيرة مشهورة، والله أعلم (١٣).

- يتبع -

الهوامش:

- ١- انظر: فتح الباري ٦ / ٢٥٨ ، ٢٦٣ ،
- ٢- السلسلة الصحيحة برقم ٩٥٦ ، وصحيح الجامع الصغير برقم ٨٠٣٥ ،
- ٣- عن "مذهب الإنسانية" انظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب: ٥٨٩ - ٦٠٤ ، وفي: معجم المناهي اللغظية ، حرف الألف ، ومقمة طه العلواني لكتاب: النهي عن الاستعانة والاستئصال في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار ، لمصطفى الوارداني.
- ٤- هذه القاعدة مبحوثة في كتب الاعتقاد ، وقد أفردت بمؤلفات منها: تحفة الإخوان... للشيخ حمود التويجري ، سبيل النجاة ، للشيخ حمد بن عتيق ، الولاء والبراء ، للشيخ محمد سعيد القحطاني ، الم الولا والمعاداة للشيخ محمد الجلعود ، الولاء والبراء للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ، وخمستها مطبوعة.
- ٥- للسيوطني رسالة باسم (الزجر بالهجر) ولم أقف عليها ، وللشيخ محمد الززمي بن محمد الصديق الغماري رسالة باسم: "إعلام المسلمين بوجوب مقاطعة المبتدعين والفحار والظالمين" طبعت بتطوان بلا تاريخ ، رد بها على أخيه عبد الله في رسالته: (القول المسموع في بيان الهجر المشروع) ، وكان الززمي قد قاطع آخاه عبد الله لما لديه من الدعوة إلى القبوريات وإلى بناء المساجد على القبور ، وخدمة زاوية أبيه ، في سلسلة يطول ذكرها من البدع المضلة ، فبلغت الصورة الغريبة مبلغها من عبد الله فألف رسالته: (النفحة الزكية) هجر فيها دلالة النصوص على الهجر ، وخرق إجماع الأمة عليه ، وهي من الباطل الذي لا يلتفت إليه ، والله الهادي إلى سواء السبيل.
- ٦- ما أحسن ما قاله الحربي أبو اسحاق رحمه الله تعالى:- من لم يؤمن بالقدر لم يتنهَّ بعيشة. انظر: ولاية الله للشوكاني ٣٩٦ /
- ٧- الفتاوى ٢٣١ / ٢٣٢ ،
- ٨- اقتباس من حديثين مرفوعين رواهما ابن أبي عاصم في "السنة" برقم ١٣ ، ٩٥ ، وانظر: ظلال الجنة ١٢/١ ، ٤٦،
- ٩- الاعتصام ١ / ١١٤ ،
- ١٠- الفتح ٢٨ / ٢١١ - ٢١٣ - ٢١٦ ، ٢١٧ - ٢١٦ ، ٢٠٣ ، فتح الباري ١٠ / ٤٩٧ . الترغيب والترهيب ٤٥٤ - ٤٦٢ ، الدرر السننية ٤ / ٢١٦ - ٢٠٨،
- ١١- فتح الباري ١٠ / ٤٩٧ ،
- ١٢- فتح الباري ١٠ / ٤٩٦ ،
- ١٣- انظر: تحفة الإخوان، فهو مهم في هذا ، والدرر السننية ٤ / ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣ - ٢٠٨ ،
- ٢١٦ ، ومن النظر فيها يتبيّن أن ما استشكله الطبرى غير مشكل والله أعلم.

خواطر في الدعوة رجل الفطرة

محمد العبدة

يرجع الداعية - في بحثه المؤوب عن أصحاب الفطر السليمية الذين لا يحملون بين جوانبهم عوامل الضعف والهزيمة النفسية - إلى سيرة معلم الخير محمد صلى الله عليه وسلم ، ليست لهم منها معالم تثير له الطريق.

ومن الدروس المستفادة من السيرة النبوية أن الله سبحانه وتعالى بعث أكرم خلقه من بيئه لا هي بالحضريـة المدنـية المـغـرـقة في التـرـفـ وـفـنـونـ النـعـيمـ وـالـمـلـذـاتـ ، ولا هي بالـبـدـوـيـةـ الـجـافـيـةـ البعـيـدةـ عن التـمـدنـ وـالـعـلـمـ المشـترـكـ ، فـالـأـسـرـ القرـشـيـةـ لمـ تـصـلـ بـعـدـ إـلـىـ تـعـقـيـدـاتـ المـدـنـيـةـ ، وـلـمـ تـأـسـرـهـاـ الشـكـلـيـاتـ وـالـمـظـاهـرـ ، وـلـاـ يـزـالـ شـبـابـ قـرـيـشـ يـأـلـفـونـ الـخـشـونـةـ وـالـفـرـوـسـيـةـ ، رـغـمـ عـيـشـهـمـ فـيـ بـيـئـةـ تـجـارـيـةـ مـبـتـدـعـينـ عـنـ خـلـقـ الـمـذـلـةـ وـالـمـراـوـغـةـ الـتـيـ يـأـلـفـهـاـ مـنـ اـسـتـحـكـمـتـ فـيـهـ عـوـائـدـ التـرـفـ ، أوـ عـاـشـ تـقـهـرـ الـاسـتـبـادـ وـالـبـحـثـ عـنـ لـقـمـةـ الـعـيـشـ فـيـ بـيـئـةـ مـادـيـةـ لـاـ رـحـمـةـ فـيـهـاـ وـلـاـ شـفـقـةـ .

وـلـاـ نـعـنـيـ مـنـ هـذـاـ أـنـهـ لـاـ بـدـ مـنـ الـعـيـشـ فـيـ قـرـىـ أـوـ مـدـنـ صـغـيرـةـ كـمـكـةـ عـنـ الـبـعـثـةـ ، فـهـذـهـ سـطـحـيـةـ فـيـ التـفـكـيرـ وـسـذـاجـةـ ، وـلـكـنـ الـمـقـصـودـ هوـ الـعـيـشـ فـيـ أـجـوـاءـ الـفـطـرـةـ السـلـيمـةـ ، أـجـوـاءـ التـخـفـ منـ الـقـيـودـ الـتـيـ تـكـبـلـ الـمـسـلـمـ عـنـ الـانـطـلـاقـ فـيـ دـعـوـتـهـ ، هـذـهـ الـقـيـودـ الـتـيـ لـمـ يـأـتـ بـهـاـ شـرـعـ وـلـاـ حـكـمـ بـهـاـ عـقـلـ ، وـلـكـنـ دـوـاعـيـ الـانـحطـاطـ هـيـ الـتـيـ تـهـتـفـ بـهـاـ .

فالـدـعـوـةـ لـاـ يـتـمـ أـمـرـهـاـ وـلـاـ يـقـوـىـ عـودـهـ إـلـاـ بـرـجـالـ تـعـودـواـ الـخـشـونـةـ ، تـتـجـاـفـيـ جـنـوبـهـمـ عـنـ الـانـغـمـاسـ فـيـ النـعـيمـ ، كـلـمـاـ سـمـعواـ هـيـعـةـ طـارـواـ إـلـيـهاـ .

وـالـرـجـلـ الـذـيـ عـاـشـ حـيـاتـهـ رـاضـيـاـ بـالـقـلـيلـ ، بـلـ خـائـفـاـ مـنـ ذـهـابـ هـذـاـ القـلـيلـ ، عـاـشـ يـسـمـعـ وـصـاـيـاـ وـالـدـتـهـ تـحـذـرـهـ وـتـخـوـفـهـ مـنـ أـيـ عـلـمـ عـداـ الـعـلـمـ الـذـيـ سـيـعـيـشـ مـنـهـ ، هـذـاـ الرـجـلـ قـدـ انـغـرـسـ فـيـ نـفـسـهـ الـضـعـفـ ، وـأـصـبـحـ بـعـيـدـاـ جـداـ عـنـ الـمـغـامـرـةـ وـرـكـوبـ الـمـصـاعـبـ ، فـهـوـ دـائـمـاـ يـخـافـ مـنـ الـمـجـهـولـ ، يـخـافـ مـنـ الـمـسـتـقـبـلـ ، يـفـكـرـ دـائـمـاـ فـيـ الـاـحـتـيـاطـاتـ الـلـازـمـةـ لـتـدـبـirـ (ـالـعـيـشـ)ـ .

هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ يـحـمـلـ أـتـعـابـ مـدـيـنـةـ مـرـتـ عـلـيـهـ قـرـونـ وـهـيـ تـعـيـشـ تـقـهـرـ كـلـ مـتـغلـبـ ، وـتـأـلـفـ كـلـ قـادـمـ ، هـوـ لـاـ شـكـ يـشـعـ بـضـالـلـ نـفـسـهـ وـقـصـورـ هـمـتـهـ ، وـلـاـ يـسـمـحـ لـقـكـيرـهـ بـأـنـ يـخـطـرـ لـهـ ذـكـرـ الـأـعـمـالـ الـكـبـيرـةـ وـالـمـشـرـوـعـاتـ الـعـظـيـمـةـ ، بـلـ إـذـاـ حـمـلـ فـكـرـةـ قـوـيـةـ يـمـسـخـهـاـ إـلـىـ (ـنـصـفـ)ـ فـكـرـةـ يـؤـولـهـاـ حـتـىـ تـتـمـشـىـ مـعـ ضـعـفـهـ وـاـنـحـطـاطـهـ ، فـهـوـ دـائـمـاـ فـيـ مـنـتـصـفـ طـرـيقـ وـنـصـفـ نـهـضـةـ ، لـاـ هـوـ بـالـبـادـيـءـ ، وـلـاـ هـوـ بـالـمـنـتـهـيـ ، فـإـذـاـ تـعـلـمـ وـدـرـسـ أـصـبـحـ نـصـفـ دـارـسـ أـوـ نـصـفـ طـبـيـبـ ، وـإـذـاـ كـانـ مـوـظـفـ يـحـسـ أـنـهـ جـزـءـ صـغـيرـ مـنـ آـلـةـ ضـخـمـةـ ، فـمـثـلـ هـذـاـ لـاـ يـسـاعـدـ عـلـىـ التـحـفـزـ لـعـلـمـ كـبـيرـ ، فـهـوـ رـجـلـ (ـالـحدـ الـأـدـنـيـ)ـ .

وـنـحـنـ نـرـيـدـ رـجـلـ الـفـطـرـةـ الـذـيـ يـمـلـكـ حـيـوـيـةـ الـاـنـدـفـاعـ وـالـتـضـحـيـةـ ، فـيـهـ بـسـاطـةـ وـسـمـوـ ، فـإـذـاـ عـقـلـ الـإـسـلامـ وـفـقـهـهـ فـقـدـ جـمـعـ (ـنـورـاـ عـلـىـ نـورـ)ـ ، وـهـوـ الرـجـلـ الـمـؤـهـلـ لـلـتـغـيـرـ .

حق الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أمته

د. سليمان العaid

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونوعذ بالله من شرور أنفسنا وسبيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد:

فإن الله خلق البشرية لغاية واضحة ، وهي غاية شريفة بمقدار ما يحققها الإنسان ترتفع منزلته عند الله، هذه الغاية هي: عبادته وحده كما قال تعالى: ((وما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ)) ، وقال

تعالى: ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ)), وقد كانت بداية البشرية التوحيد، فكانت عليه حقبة من الزمن ثم ضلت عنه، كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في "صححه"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله: "إِنِّي خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم"). قال ابن عباس: "بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على التوحيد، ثم طرأ الشرك عليهم بعد إيمان، وأرسل الله الرسل للبشرية ليبردوهم إلى الحق ويندوهم عن حياض الشرك، ((فَنَّا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِنَّمَا يَأْتِيُنَّكُمْ مِّنِي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَىً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)).

وكان مبدأ الشرك من الغلو في الصالحين وإنزالهم فوق منزلتهم ، واعتقاد أن الخير يأتي عن طريقهم ، وأنه لا يوصل إلى الله إلا بهم. قال المفسرون في تفسير قوله تعالى: ((وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ إِلَهَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)) قالوا: "هذه أسماء رجال صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو صورناهم لكانوا عوناً لنا على العبادة ، ولذكرتنا صورهم فعل الخير ، فصوروهم، فلما انقرض ذلك الجيل ، وجاء من بعدهم: أوحى إليهم إبليس بأن آباءهم كانوا يعبدون تلك الصور ، وبهم يسقون المطر ، فعبدوه". وهذا يدلنا على أن مبدأ الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما كان بسبب الغلو في بعض من يظن بهم الصلاح.

وقد حذرنبي هذه الأمة ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم- أمهته أن تقع فيما وقعت به الأمم السابقة من الغلو والإطماء الذي لا تسيغه الشريعة، ولا يقبل به عقل سليم ولا يقره منطق قويم ، حذرنا بقوله فيما رواه عنه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تطروني كما أطربت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله" متفق عليه. وقد كان من شأن النصارى أنهم قالوا في عيسى: هو الله ، وببعضهم قال: هو ابن الله ، وببعضهم قال: هو ثالث ثلاثة ، كما حكى الله عنهم تلك الأقوال ؛ ورد عليهم قولهم ، فقال: ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)).

وقد غلا إخوانهم اليهود من قبل مثل هذا الغلو حين قالوا: عزيز ابن الله ، كما قال تعالى عنهم: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)).

وقد جاء التحذير عاماً عن الغلو في كل شيء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو" رواه أحمد والترمذى وابن ماجه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيما رواه عنه ابن مسعود: "هلك المتنطعون ، قالها ثلاثة" رواه مسلم. وقد أخبر رسول الهدى أن هذه الأمة ستقلد الأمم السابقة فقال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" متفق عليه.

وقد كان من متابعة الأمم السابقة: الغلو في الصالحين والأنبياء ، ومن أمثلة ذلك: غلو بعض الناس بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فيعتقد أنه يعلم الغيب كما قال القائل: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

وفات هؤلاء قوله تعالى: ((وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَكَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنِيَ السُّوءُ)). رسول الله صلى الله عليه وسلم- لا يدري متى وقت الساعة كما جاء في حديث جبريل- عليه السلام-

وبعضهم يعبد الله ومحمدًا ، فيصرفون له شيئاً من العبادة ، ويجعلونه نداً لله ، وبعضهم يقول: إن الله خلق آدم وجميع المخلوقات من أجل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم-.

وبعضهم يعتقد أن الأرزاق من كفه صلى الله عليه وسلم-، وهذا ينافي قوله تعالى: ((قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَرَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هُنَّ هُنَّ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ)).

والغلو لا يقف عند حد ، وإنما يجمعه أنه تجاوز القدر الصحيح ، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم- هو محمد بن عبد الله ، رسول الله ، ونبيه ، وعبده ، لا يجوز هذه المنزلة ، وهو سيد ولد آدم ، والشافع لهم يوم الحشر بإذن الله كما قال تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّتَلْكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَعْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد" ، وكل مسلم يقول: (أشهد أن محمداً عبده ورسوله- وذلك في تشهد الصلاة).

فكون الرسول بشراً لا ينقص من قدره ، ولا يجعلنا نرفض الاقتداء به كما قال المشركون ، ((أبْشِرَا مَنَّا وَاحِدًا نَتَبَعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ)) ، بل إن بشريته هي التي تجعل منه القدوة التي نقتدي بها ، والأسوة التي نتأسها ، وقد اختار الله نبيه من خير الناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "فَإِنَّا خَيَارٌ مِّنْ خَيَارٍ". واختاره لأعظم عمل ، وهو الرسالة وتبلیغ دینه للعالمين ، ((اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)) وقد استغرب المشركون اختياره دون واحد من العظاماء ، ((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ)) ، ورباه الله على أحسن الخلق ، ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)).

وقد قام بالبلاغ أتم قيام ، وبلغ رسالته للعاملين أتم بлаг ، كما قالت عائشة: "من قال لكم إن محمداً كتم شيئاً مما أوحاه الله فقد أعظم الفرية ، ولو كان مخفياً شيئاً لأخفى قوله: ((وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ))". وقد تحمل في سبيل تبلیغ دعوته صنوف الأذى ، والاضطهاد ، وكابد المشقات حتى نصره الله وبلغ دینه.

وله في ذلك -على كل مسلم أجر ، وله على كل مسلم حق ، فما هو حق الرسول صلى الله عليه وسلم- على أمته؟؛ فهو إطراوه وقد نهى عنه؟؛ أم هو المدائح وفيها من الغلو الشيء الكثير؟؛ أم هو صرف شيء من العبادة إليه كالاستفهام والاستغاثة ودعائه من دون الله؟.

إن كل هذا ينافي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم- ، وقد نهى عنه أشد النهي كما تقدم ، إذن ما هي حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم- على أمته؟ يمكن أن نجمل تلك الحقوق في أربعة أمور:

- ١- تصديقه ، والإيمان به ، واتباع سنته وطاعته.
- ٢- محبته صلى الله عليه وسلم- ، ومحبة سنته ، ومحبة ما يحبه.
- ٣- توقيره وتعزيزه.

٤- الصلاة والسلام عليه.

وستعرض لهذه الأمور بذكر الأدلة عليها من القرآن والسنة ، فنقول:

١ - تصدقه ، والإيمان به ، واتباع سنته وطاعته ، وهذا هو معنى شهادة:أن محمداً رسول الله ، قال تعالى: ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلَنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) ، وقال:((وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا)).
وقد أمر الله عباده بطاعة نبيه فقال: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ)).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: "كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبي" ، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى" رواه البخاري والحاكم.

وقد أمر الله عباده المؤمنين باتباع نبيه ، والاقتداء بسنته ، فقال: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) ، و:((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأَمِيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)).

ورغب في قبول حكمه ، والتسليم لقضائه والرضى بأمره ، ((فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) ، وقد جعل الله عبده محمداً قدوة المؤمنين وأسوة المتأسين ، ((أَفَذَلُّ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) [الأحزاب: ٢١] ، وحذر من مخالفته ، والخروج عن أمره ((فَلَيَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) ، ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوْلَهُ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)) [النساء: ٤١].

٢ - محبته صلى الله عليه وسلم- ، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين" رواه الشیخان ، وأخرجا عن أنس أيضاً: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنجاه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: "لأنك أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لن يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنك أحب إلي من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر" ، رواه البخاري. "وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم- فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكنني أحب الله ورسوله ، قال: أنت مع من أحببت" رواه مسلم والبخاري.

ولمحبته صلى الله عليه وسلم- علامات ، منها: الاقتداء به ، وإثارة شرعيه ، وتقديمه على أهواء النفس ، وذكره بالصلة عليه كما شرع ، ومحبة أصحابه وما يحبه صلى الله عليه وسلم- كحب أبي بكر وعمرو وعثمان وعلي ، وأزواجها مثل ، عائشة التي سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب الناس إليك فقال: عائشة ، قالوا: من الرجال ، قال: أبوها".

٣ - تعزيزه وتوقيره ، وتعظيم أمره: قال تعالى: ((إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُؤْقِرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) [الفتح / ٨ - ١٩] ، وروى مسلم عن عمرو بن العاص قال: (وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم- ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطبقت، لأنني لم أكن أملأ عيني منه).

وخير تعظيم لرسول الله تعظيم سنته.

٤- الصلاة والسلام عليه: لقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ تَسْلِيمًا)) ، والصلاحة من الله: ثناه على أنبيائه ، والصلاحة من الملائكة: الاستغفار، ومن الناس: الدعاء والتعظيم والتكرير.

والصلاحة عليه من أعظم الذكر ، روى الإمام أحمد عن عامر بن ربيعة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى على ، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر". وروى عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "إن جبريل أتاني فبشرني: أن الله - عز وجل - يقول لك: من صلى عليك صلیت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت الله - عز وجل - شكرًا".

وروى الترمذى عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: "أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم على صلاة". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وتتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم - في مواضع وأعمال ، منها:

١- إذا ورد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم - ، لقوله: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على" رواه أحمد وإسماعيل القاضي ، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلاخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة" رواه الترمذى وقال: حسن غريب. ومثل هذا الحديث يدل على مشروعية الصلاة عليه كما ذكر ، وقال بعضهم بوجوبها كلما ذكر ، وقال بعض آخر: تجب أول مرة ، وتتسن فيما بعد.

٢- الصلاة عليه في المجالس ، لقوله صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة: "ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة ، فإن شاء عندهم وإن شاء غفر لهم".

٣- الصلاة عليه عند سماع المؤذن ، لقوله صلى الله عليه وسلم -: "إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تتبعي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة" رواه أحمد ومسلم و غيرهما.

٤- الصلاة عليه عند دخول المسجد والخروج منه ، وعند المرور بالمساجد ، لأنه صلى الله عليه وسلم - إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال: (اللهم اغفر لي ذنبي ، وافتح لي أبواب رحمتك) . وإذا خرج: "صلى على محمد وسلم ، ثم قال: (اللهم اغفر لي ذنبي ، وافتح لي أبواب فضلك)" رواه أحمد.

ولقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (إذا مررت بالمساجد فصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم -) ، رواه إسماعيل القاضي في كتاب "الصلاحة".

٥- الصلاة عليه في التشهد الأخير ، وهو ركن من أركان الصلاة أو واجب ، وأما الصلاة عليه في التشهد الأول: فهي مستحبة.

٦- الصلاة عليه في صلاة الجنائز ، فإن من السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب ، وفي الثانية يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الثالثة يدعوا للميت ، وفي الرابعة يقول: اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تقتننا بعده.

٧- الصلاة عليه بين تكبيرات صلاة العيد ، لما رواه إسماعيل ، عن علقة ، وعن ابن مسعود ، وأبي موسى ، وحذيفة.

٨- تستحب الصلاة عليه عند ختم الدعاء ،لقول عمر: "الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك" رواه الترمذى بسند صحيح.

٩- يوم الجمعة وليلته يستحب الإكثار فيه من الصلاة عليه ،لقوله صلى الله عليه وسلم-:"من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، ففيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعققة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت - يعني: وقد بليت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وقد ذهب الإمامان الشافعى وأحمد إلى وجوب الصلاة عليه والسلام في خطبتي الجمعة. ولا تصح الخطبتان إلا بذلك.

نقد

قراءة في فكر مالك بن نبي

- ٢ -

محمد العبدة
مشكلة الحضارة:

ينطلق فكر ابن نبي من سؤال لا يزال يلح على المسلمين منذ أن صدوا بالحضارة الغربية وهى تطرق الأبواب وتدخل من كل المنافذ ، وكان السؤال: ما هي أسباب تقهقر المسلمين؟ وما هي شروط النهضة ليستعيد المسلمون دورهم وفاعليتهم المفقودة وليكونوا شهداء على الناس؟. وكانت الإجابة عن هذا السؤال هي محور كتابات وأقوال الذين نصدوا لحركة الإصلاح والنهوض بالأمة على اختلافهم في القرب أو البعد عن الصواب. بل إن كثيرًا منهم كانوا "لا يعالجون المرض بقدر ما يعالجون أعراضه" (١) ، وأما الإجابة المتبادرة: (لابد من العودة للدين) فهي وإن كانت صحيحة بلا شك ولكنها بحاجة إلى تفاصيل ، فعندما ندخل في عمق الموضوع ونبداً بالعمل سنجد أن هذا المسلم المقتنع بهذا الجواب يحمل بين جنبيه أمراضًا اجتماعية وفكرية ونفسية تعيقه عن فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً ، ليتحول هذا الفهم إلى فعالية للتغيير ، وهذه الأمراض كانت نتيجة تراكم عصور من الابتعاد عن العلم النافع والعمل المثمر ، فالآمة الإسلامية (كالفارس الذي أفلت الركاب من قدميه ولم يسترده بعد ، فهو يحاول أن يستعيد توازنه) (٢).

كيف نصوغ عقل هذا المسلم مرة أخرى حتى يعود إلى فاعليته؟ من هنا ينطلق ابن نبي ليقول: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية ، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلاته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية ، ما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها" (٣). فالمسلم الآن لا يعيش حالة (حضارة) وإنما هو من بقايا حضارة وهي الحضارة الإسلامية طبعاً ، ولا بد من إدخاله مرة ثانية في دورتها ، فالإنسان السابق على الحضارة (العربي قبل البعثة مثلاً) هو مثل جزء الماء قبل وصوله إلى خزان ينتج الكهرباء ، فهذا الجزء منظو على طاقة مذخورة ، قابل لتأدية عمل نافع ، ولكن هذا الجزء يفقد طاقته بعد أن استنفذها في إنتاج الكهرباء ، وإذا أردنا أن نعيده له قوته علينا أن نرفعه مرة ثانية إلى مكان عال ، أو أن يتبحر ثم يتکثف ليعود جزءاً من طاقة مائية تقع قبل خزان معين" (٤).

ورفع المسلم إلى هذا المكان السامي لا يتم إلا ب什حة إيمانية عالية وأخلاق كأخلاق الصحابة، ولا يتم هذا إلا (بتوتر روحي) حسب تعبير مالك.

ماذا يقصد بالحضارة؟

"هي : مجموع الشروط الأخلاقية والمادية، التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده - في كل طور من أطواره وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية" (٥) ، أو: "هي : إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ" (٦) ، "هي ليست كل شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية في أي مجتمع كان ، ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية واستعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة" (٧)"، وهي جوهر الوجود للمجتمع، وعكسها هو: الهمجية والعودة إلى البدائية المترحلة" (٨)، فالعرب انتقلوا بالإسلام إلى حضارة ، والشعوب الأخرى انتقلت بعقيدة من العقائد إلى حضارة ، فهي قدرٌ محظوظ لمجتمع يتحرك لبناء نفسه ولأهداف معينة.

أما العوامل التي تشكل الحضارة ؛ فقد صاغها على شكل المعادلة التالية:
ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت. ولكن هذه المعادلة لابد لها من مركب أو مفاعل ، وهذا المركب هو (الدين) سواء كان ديناً حقاً كالإسلام ، أو بقايا دين أو عقيدة تبلغ عند أصحابها مبلغ الدين في الحماسة لها والتضحية في سبيلها.

"لكي نقيم حضارة لا يكون ذلك بأن نقدس المنتجات ، وإنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها" (٩) ، فالحضارة لا تستورد ولا تفصل لكل أمة على مقاسها ، وهي التي تلد منتجاتها وليس العكس.

من هذه التعريف يتبيّن لنا أن: ابن نبي له تعريفه الخاص للحضارة ، فهي شكل راق من الحياة الأخلاقية والمادية ، وهناك حضارة إسلامية ، حضارة غربية... الخ.
وبحسب تعريفه هذا: فإن الصين الحديثة أقلعت باتجاه حضارة ، فقد اجتمع لها الحماس للتفكير واستخدام التراب والوقت ، وقبلها اليابان وروسيا... ورغم أهمية هذه المعادلة بالنسبة للعالم الإسلامي الذي لم يقلع بعد. ورغم نقد ابن نبي للحضارة الغربية المادية وجشعها ، فإن رائحة المادية تفوح من هذه التعريف ، فروسيا أقامت نهضتها الصناعية بعد أن قتلت وشردت الملايين ، وقل مثل ذلك في الصين ، فهل المهم هو استغلال الوقت والتراب ولو على حساب الإنسانية؟! وأما العنصر الأخلاقي أو الروحي (Ethes) أو ما أسماه (الفكرة الدينية) التي يكون أصلها من السماء ، فقد استوحها من (كسرلنج) الذي يقول: "وكان أعظم ارتکاز حضارة أوربا على روحها الدينية".

ويعرف الروح الدينية: "ولست أعني بالروح ذلك الشيء الدال على منطق أو عقل أو مبادئ مجردة ، وإنما هو بصفة عامة: ذلك الشعور القوي في الإنسان ، والذي تصدر عنه مخترعاته وتصوراته وتبلیغه لرسالته ، وقدرته الخفية على إدراك الأشياء" (١٠).

فهذا المفكر يعتبر أن "الروح المسيحية" و"مبادها الخلقي" هما القاعدتان اللتان شيدت عليهما أوروبا سعادتها التاريخية ، وجاء مالك وأخذ عن هذه الفكرة ووضعها قاعدة عامة لكل الحضارات ، وأخذ عنه أيضاً وعن (شبنجلر) تقسيمه لدوره الحضارة إلى المراحل الثلاث: روحية ، وعقلية ، وغرائزية ، وإن كان ابن خلدون قبلهم قد قال بمثل هذا ولكنه تكلم على الدول ولم يتكلم عن الحضارات ، ومقولته: "أنه لا توجد حضارة إلا وللدين أثر فيها" صحيحة من حيث الجملة ، وقد قال بها ابن تيمية أيضاً (١١) ، ولكن يبقى الإشكال هو: وضع الإسلام موضع المساواة مع أي فكرة دينية واعتباره

شعلة أخلاقية تصلح لتركيب المعادلة ، هنا موضع الخطورة والنقص ، فالملفkr (كسرلنج) عندما يتكلم عن النصرانية يتكلم عنها كجزء من الأجزاء المكونة للحضارة الغربية ، ولكن الإسلام دين شامل وليس مبدأ أخلاقياً فحسب ، وقاعدته الأساسية هي التوحيد الذي يبني عليه الأخلاق والأداب والتشريعات ... وما يعتبر فناً رائعاً عند من يكتب عن الحضارات يعتبر حراماً في الإسلام.

والواقع أن ابن نبي غير واضح في هذه المسألة ، فنراه واعياً لمسألة الشمولية عندما يعتبر العصر الراشدي هو النموذج دائماً وتعاطفه وتأييده للحركات الإسلامية، مثل: حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وحركة جمعية العلماء في الجزائر ، وربما يكون ضعفه في العلوم الشرعية هو الذي جعله يقع في أخطاء تؤدي بعدهم الشمولية ، وخاصة في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية.

ومع ذلك فإن طرفة لمشكلة الحضارة بمعناها الواسع هو من الأهمية بمكان ، ولذلك سنبصي معه في وقته الطويلة عند هذا الموضوع.

إن ارتفاع المسلم إلى مستوى (حضارة) "فيتعلم كيف يعيش في جماعة ، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية" (١٢) ، ويتعلم كيف يكون لبنة في (البيان المقصوص)، هذا الارتفاع لابد منه وهو المطلوب الآن ، بينما نرى في الواقع أن المسلم الذي لا ينقصه الإخلاص لا يستطيع مواجهة مشاكله وكيف يحلها ، لأنه تعلم وأخذ شهادات مدرسية ولكنه لم يتثقف ، ولم يتشرب من بيته في المنزل والمدرسة كيف يكون فعلاً ، وكيف يقوم بأعمال مشتركة مع الآخرين ، والإسلام عندما رفع العرب إلى مستوى (حضارة) عدل من طباعهم حتى تكون وسطاً ، ووضعهم بين حدي الوعد والوعيد ، وعدل من غرائز الإنسان ولم يكتبها (حرّم الزنا وشجع الزواج)؟ ، وهكذا دخل العربي وغير العربي في حضارة الإسلام ، وأصبحت شخصية المسلم شخصية سوية ليس فيها عقد نفسية أو اجتماعية ، وعندما عُزل خالد بن الوليد - رضي الله عنه - عن قيادة الجيوش في الشام لم يحدث عزله أي مشكلة ، ولو حصلت هذه الحادثة بعد بضعة عقود من السنين لزلزلت الأرض.

وال المسلم الذي هو (خارج من حضارة) كما يعبر مالك بن نبي - يتصرف بأنانية مفرطة ، قد تضخت عنده (الأننا)؛ فلا يرى إلا نفسه ولا يهتم إلا بمصلحته الخاصة ، ولا يستطيع أن يقوم بعمل تعاوني مع غيره، وإذا ذهب إلى منزل هذا المسلم (الطيب) ستتجدد آثار تضييع المال ودون قصد منه في كثير من الأحيان ، فأولاده يحطمون كل شيء ، وبقايا الطعام تتناثر فوق السجاد الفاخر ، والأم الجاهلة تتظر إليهم وكان شيئاً لم يكن ، ولأنه لم يرتب أمره الاقتصادية تذهب أمواله إلى أصحاب المصانع في الغرب والشرق لتكون عوناً لهم على المسلمين ، مع أنه يعلم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نها عن "إضاعة المال". وعندما أراد بلد كأندونيسيا النهوض باقتصاده استدعي الخبر المشهور (شاخت) ، ولكن خطط هذا الخبر لم تنجح في أندونيسيا ونجحت في ألمانيا الغربية، والسبب هو: أن الشعب الأندونيسي لم يرق بعد إلى مستوى (حضارة).

وعندما يتم استيراد الأجهزة الحديثة من أفضل ما أنتجته التقنية الغربية لا يستفاد منها كثيراً في بلادنا ، لأنه لا يوجد جو اجتماعي ثقافي يحيط بها ويحفظها، فالنظم الاستبدادية جعلت العقول العلمية تهاجر إلى الغرب.

هذا ما يقصده مالك بن نبي عندما يبدأ ويعيد في موضوع الحضارة ، وأن المسلم لا يعيش ولا يتنفس الثقافة الملائمة له ، وإنما يحمل أمراض بيته المختلفة وهو لا يشعر ، ونحن نوافقه من هذا الجانب ، ولذلك سنبدأ بعرض بعض المعوقات التي يراها مانعة من دخول المسلم في (بادرة حضارة) وتعرقل مساعيه لانطلاق والنهوض:

القابلية للاستعمار:

عندما يستعرض مالك بن نبي التاريخ الإسلامي يقسمه إلى فترات ثلاث:

١ - الفترة الروحية التي دخل المسلمين فيها إلى حضارة إسلامية: وتبداً ببداية البعثة النبوية وتنتهي عند معركة صفين ، وتميز هذه الفترة "بأروع صور الزهد والتلشف التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم- مثلها الأعلى ، كما تتميز بالتضحيّة من قبل الصحابة مثل: أبي بكر وعثمان وعمر... " (١٣).

وفي هذه الفترة خضعت كل النوازع للإيمان ، وغابت كل الأنانيات والعصبيات ، واندفع المسلم بكل طاقاته وإمكاناته ، وكانت شبكة العلاقات الاجتماعية على أقوى ما يتصوره إنسان ، وبلغة علم النفس: فإن الفرد يكون في أحسن ظروفه ويعيش التوازن الدقيق بين: الروح والعقل ، أو بين: الروح والمادة.

٢ - الفترة العقليّة: وتمثل أوج ازدهارها المدنية الإسلامية كالفترة الأموية والعباسية الأولى ، وفيها تدون العلوم وتنأسس المدينة ويستتحر العمران- كما يعبر ابن خلدون. "بيد أن العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز ، فتشتري في التمرد بالتدريج" (١٤)، وتضعف قليلاً شبكة العلاقات الاجتماعية ولكن المجتمع يستمر قوياً بالاندفاع الأول ؛ حتى يصل لمرحلة تنتهي فيها قوة الاندفاع كمحرك استنفذ آخر قطرة من وقوده ، وتنتهي هذه الفترة بانتهاء عصر دولة الموحدين في المغرب.

٣ - مرحلة الغرائز التي تستمر حتى بداية هذا القرن: حيث يحاول العالم الإسلامي النهوض ، وفي هذه الفترة تتغلب الغرائز الفردية والتفكير الاجتماعي ، ويعيش المسلم على هامش التاريخ ، والمجتمع مكون من أفراد لا ينقصهم الدين في كثير من الأحيان ولكنه تدين فردي ، فهو يحاول إنقاذ نفسه في الآخرة ، ولكن لم يعد يملك التمسك الاجتماعي وتسخير ما خلق الله له لبناء حضارة ، فهم أفراد من بقايا حضارة يحملون بين جنوبهم ما يسميه مالك بن نبي (القابلية للاستعمار) ، فالمجتمعات الإسلامية المعاصرة لم تُستعمَر إلا لوجود هذه القابلية لديها ، وقد يتعرض بلد من البلدان للاحتلال والغزو ولكنه يقاوم ، أما الاستعمار فهو صفات نفسية في المستعمِر والمستعمَر ، فهناك فرق بين الاستعمار والاحتلال ، وقد استعمَرت بريطانيا بلداً كبيراً كالهند ولكن إقليماً صغيراً كإيرلندا الشمالية استعصى عليها ، وإن بلداً كالimin لم يدخله الاستعمار ولكنه مصاب بنفس أمراض العالم الإسلامي. وقبل أن نمضي مع مالك بن نبي في تحليله للفترة الثالثة ، لابد من إبداء تحفظ على هذا التقسيم الحاد للتاريخ الإسلامي الذي يبدو فيه أقرب إلى عقلية المهندس (١٥) منه إلى عقلية المؤرخ ، فتركيزه على صفين جعل حكمه قاسياً على الفترة التي أعقبتها ، بل وقع في أخطاء تاريخية وشرعية ، والضعف العلمي الذي غلب على الأمة الإسلامية إنما هو بعد القرن التاسع وليس بعد الموحدين مباشرة. وقد عبر ابن خلدون عن هذه الحالة بنبرة الأسى والحزن: "وكأنني بالشرق قد نزل به ما قد نزل بالمغرب ولكن على مقدار ونسبة عمران ، وكأنما لسان السكون ينادي في العالم بالنوم والخمول فأجاب" (١٦) ، ومجيء دولة قوية كالدولة العثمانية لم يغير من الناحية الحضارية شيئاً ، حتى إذا جاء القرن الثاني عشر الهجري كانت الأمة الإسلامية في غاية الضعف والتمزق. "وأصبحت دوافع الحياة فاترة ، يعبر عنها قول أحد هم عندما يسأل عن مهمته حياته: "أكل القوت وننتظر الموت" (١٧). إن الأمراض الاجتماعية والنفسية التي يركز عليها مالك بن نبي ربما تظهر لبادي الرأي أنها صغيرة وليست هي مشكلة المسلمين الرئيسية ، والجواب على ذلك: أننا حتى لو اعتبرناها صغيرة ولكنها مهمة جداً لأنها كحبات الرمل التي تستطيع إيقاف آلة ضخمة.

الشلل الأخلاقي:

إن أخطر مرض أصاب المسلمين هو الانفصام بين النموذج القرآني والتطبيق العملي ، فقد انعدمت الدوافع الآلية التي حركت الرعيل الأول من الصحابة (١٨).

ويخلصها قول الفرزدق الشاعر للحسين بن علي -رضي الله عنه- واصفًا أهل العراق: "قلوبهم معك وسيوفهم معبني أمية" ، وبدأ ضمير المسلم يتهرّب من الحقائق المنزلة "وحركة الخوارج والمعزلة مثل على ذلك" (١٩) ، ولكن هذا المرض ازداد فشوًا في مجتمع (ما بعد الموحدين) ، فأصبح المسلم نتيجة لغزوته لا يحاسب نفسه ، ولا يعترف بأخطائه ، وأصبحت المعادلة: "بما أن الإسلام دين كامل وبما أنه مسلم ، فالنتيجة أنه كامل ، وبذلك اختلت أي حركة عنده لزيادة الجهد والتقدم" (٢٠).

ونتيجة لهذا الخلل ضعفت الروابط الاجتماعية: "فعالم الأشخاص لا يتّلّف ضمن منهج تربوي ، يهتم بالأخلاق" (٢١) ، وهذا التّالُف مهم جدًا ، قال تعالى: ((لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَنْفَقْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَكْثَرَ بَيْنَهُمْ)) [الأنفال / ٦٣] ، ومبدأ المؤاخاة الذي قام بين المهاجرين والأنصار أصبح من الخطابات السعيدة ، والأخوة الإسلامية أصبحت كلاماً للزينة وشعور تحجر في نطاق الأدب (٢٢) ، وهذا الضعف يقصد به المجتمع ككل ولا يقصد به كل فرد ، فلا يزال في الأمة (أفراد) خير كثير ، ولا يزال الناس في الريف أقرب للفطرة.

عدم الفعالية:

وكان من نتائج هذا الانفصام الأخلاقي: أن المسلم يحمل أفكاراً صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع ، كفريسة تعرضت للشلل حتى يسهل ابتلاعها ، لأن البيئة التي تحبّط به وتغذّيه بثقافتها أصبح منها الأعلى هو الزهد الأعمى والصوفية أصحاب المرقّعات ، ولا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعد الله بن المبارك أو الإمام مالك ، "وال المسلم في هذه الحالة إنما يغالط نفسه، فيهرب إلى هذه التعّلات الصوفية الكاذبة" (٢٣) ، وفي المقابل: نجد عند الغربيين أفكاراً قد لا تثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم يستخدموها إلى أقصى ما يستطيعون ، مثل: فكرة (التقدّم) ، والمسلم يحمل القرآن ولكنّه لا يستقيد منه كثيراً في التخطيط لنهاية قادمة ، فعقلية ما بعد الموحدين تسلّه عن الإبداع ، هناك خلل في طريقة تفكيره ، فعندما اكتشف ابن النفيس الدورة الدموية لم يستفاد منها المجتمع الإسلامي لأنّه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية ، والمشكلة: "أن مجتمع ما بعد التحضر يسير إلى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلاته بها" (٢٤).

أمثلة على هذا الخلل:

١- ذهان السهولة (مرض السهولة): يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها، ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض: فإما أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر ، والحل بسيط ، وإما أن الأمور مستحيلة ، وأبرز مثال على مرض (السهولة): قضية فلسطين ، فقد قيل: إن إخراج اليهود سيتحقق بعد أشهر ، ولو نفخنا عليهم نفخة واحدة لطاروا ، ولكنهم في الحقيقة لم يطيروا ، "وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنّه يؤثّر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي ، وعندما تخطّط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنّها سوف تجذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة ، الذين يقدرون الأشياء بناء على سهولات الحاضر لا على صعوبات المستقبل" (٢٥)

وأيسر طريق لأصحاب السياسات الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل: الاستعمار والإمبريالية والوطنية؛ للتغريب بالشعوب ، هذه الكلمات التي "تليق جداً لتشحيم المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسوراً جداً" (٢٦).

٢ - ذهان الاستحالة: وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويفكر أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضخمها عمدأً حتى لا يتعب نفسه في الحل ، أو أنه يشعر بضلاله نفسه وصغر همه فيحكم عليها بالاستحالة ، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها (٢٧). وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحد) لأن يأتي صلاح الدين آخر ليوحد المسلمين من جديد ، ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة إسلامية.

٣ - طغيان الأشياء: عندما يكون مجتمع ما في حالة نهوض يجب أن يتحقق الانسجام والتوازن بين هذه العالم (الأشياء والأشخاص والأفكار) ، ولكن الحقيقة أن النزعة (الكمية) هي المسيطرة ، "فلا يسأل المؤلف عن الموضوع الذي تناوله في بحثه ، وإنما يسأل عن عدد صفحات الكتاب ، وقد يقع المؤلف نفسه في هذه النزعة فيفترخ بأنه أخرج كتاباً من كذا صفحة" (٢٨).
وعندما تريد إحدى المصالح الحكومية تجهيز مقرها: تزوده بعدد خيالي من المكاتب ، بحيث يتذرع توفير المكان اللازم لها ، والموظف الكبير يجب أن يكون في غرفته أربعة تلفونات وخمس أجهزة تكيف ، ومشكلة التنمية تعالج بزيادة الضرائب التي تشل جميع أوجه النشاط الفردي ، وفي هذه الأحوال يظن الفرد أن (التكديس) هو الحضارة، فيشتري منتجات الغرب بكميات أكثر مما يحتاج له ، "وإذا كان مجتمع ما قبل التحضر فقيراً في عالم الأشياء ، فإن مجتمع ما بعد التحضر مكتظ بالأشياء ولكنها خالية من الحياة" (٢٩).

- يتبع -

الهوامش:

١- مالك بن نبي: شروط النهضة / ٢,٥٩,

٢- مالك بن نبي: مشكلة الأفكار / ٢١٧,

٣- شروط النهضة / ٢٣,

٤- المصدر السابق / ١٠٦ .

٥- آفاق جزائرية / ٣٨,

٦- مشكلة الأفكار / ٤٩,

٧- آفاق جزائرية / ٧٧,

٨- فكرة الأفروآسيوية / ٨٥,

٩- شروط النهضة / ٦٦,

١٠- شروط النهضة / ٨٤,

١١- شروط النهضة / ٨٤,

١٢- انظر ما كتب عن هذا الموضوع في العدد الأول من البيان / ١١٦,

١٢- ميلاد مجتمع / ٨٨,

١٣- مشكلة الأفكار / ٥٣,

٤- فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام / ٤١٤,

- ١٥ - الذي هو اختصاصه ، فقد تخرج عام ١٩٣٥ مهندساً كهربائياً.
- ١٦ - مشكلة الأفكار / ٤٣،
- ١٧ - تأملات / ٤٠،
- ١٨ - مشكلة الأفكار / ٢١٤،
- ١٩ - وجهة العالم الإسلامي / ١١٤،
- ٢٠ - المصدر السابق / ٧٧،
- ٢١ - مشكلة الثقافة / ٦٠،
- ٢٢ - وجهة العالم الإسلامي / ٤٦،
- ٢٣ - آفاق جزائرية / ٢٣،
- ٢٤ - مشكلة الأفكار / ٤٣،
- ٢٥ - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة / ٢٧،
- ٢٦ - المصدر السابق / ٢٧،
- ٢٧ - وجهة العالم الإسلامي / ٨٠،
- ٢٨ - مشكلة الأفكار / ١٠٢،
- ٢٩ - مشكلة الأفكار / ٤٤ .

الثبات على دين الله

- ٢ -

محمد صالح المنجد

التربية: التربية الإيمانية العلمية الوعائية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات .

التربية الإيمانية: التي تحفي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة ، المنافية للجفاف الناتج منبعد عن نصوص القرآن والسنة، والعكوف على أقوال الرجال .

التربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح ، المنافية للتقليد والإمعنة الذمية.

التربية الوعائية: التي تعرف سبيل المجرمين ، وتدرس خطط أداء الإسلام ، وتحيط بالواقع علماً ، وبالأحداث فهماً وتقويمًا ، المنافية للانغلاق والتقوّق على البيانات الصغيرة المحدودة.

التربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً ، ترتفقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطممة .

ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسائل أنفسنا: ما هو مصدر ثبات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم - في مكة إبان فترة

الاضطهاد؟ كيف ثبت بلال و خباب ومصعب وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره؟ هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقه من مشكاة النبوة ثقلت شخصياتهم؟ لأنخذ رجلاً صاحبياً مثل: خباب ابن الأرت - رضي الله عنه- الذي كانت مولاته تُحْمِي أسياخ الحديد حتى تحرّر ، ثم تطرّحه عليها عاري الظهر فلا يطفئها إلا ودك (شحم) ظهره حين يسلي عليها ، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟ و "بلال" تحت الصخرة في رمضان ، و "سمية" في الأغلال والسلسل ... وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني ، من الذين ثبتوا مع النبي -

صلى الله عليه وسلم - في حنين لما انهزم أكثر المسلمين؟ هل هم مسلمة الفتح الذين خرج أكثرهم طلباً للغذاء، وحديث العهد بالإسلام؟ كلا... إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدرأ عظيماً من التربية على رسول الله صلى الله عليه وسلم -، لو لم تكن هناك تربية تُرى هل سيثبت هولاء؟

ثامناً - الثقة بالطريق:

لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم كان ثباته عليه أكبر... ولهذا وسائل منها:
- استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه ليس جديداً ولا ولد قرنك وزمانك ، وإنما هو طريق عتيق(١) ، قد سار فيه من قبل من الأنبياء والصديقين والعلماء والشهداء والصالحين ، فتنزول غربتك ، وتبدل وحشتاك أنساً ، وكابتاك فرحاً وسروراً ، لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

- الشعور بالاصطفاء ، قال الله -عز وجل-: ((الْحَمْدُ لِلّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَيْ)) [النمل: ٥٩] ، ((ثُمَّ أُورَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)) [فاطر: ٣٢] ، ((وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)) [يوسف: ٦] ... وكما أن الله اصطفى الأنبياء؛ فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء وهو: ما ورثوه من علوم الأنبياء.

ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً ، أو حيواناً ، أو كافراً ملحداً ، أو داعية إلى بدعة ، أو فاسقاً ، أو مسلماً غير داعية لإسلامه ، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟
ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك ؟ وأن جعلك داعية من دعاة أهل السنة والجماعة من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

تاسعاً - الالتفاف حول العناصر المثبتة:

تلك العناصر التي من صفاتها ما أخبرنا به -عليه الصلاة والسلام-: "إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر" (٢).

البحث عن العلماء والصالحين والداعية المؤمنين ، والالتفاف حولهم معينٌ كبير على الثبات، حتى قال بعض السلف: ثبت الله المسلمين بـ"أبي بكر" يوم الردة ، و"الإمام أحمد" يوم المحنـة .
وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسـي للتثبت ، فإخوانك الصالـحـون هـمـ العـوـنـ لـكـ فـيـ الطـرـيقـ ، والـرـكـنـ الشـدـيدـ الـذـيـ تـلـويـ إـلـيـهـ؛ فـيـثـبـتوـنـكـ بـمـاـ معـهـمـ مـنـ آـيـاتـ اللهـ وـالـحـكـمـةـ...ـ الزـمـهمـ وـعـشـ فيـ أـكـنـافـهـمـ،ـ وـإـيـاـكـ وـالـوـحـدـةـ فـتـخـطـفـكـ الشـيـاطـينـ.

عاشرأً - الثقة بنصر الله وأن المستقبل للإسلام:

نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر ، حتى لا تزل الأقدام بعد ثبوتها. قال تعالى: ((وَكَأَيْنَ مِنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِيعُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرَنَا وَتَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ)) [آل عمران: ٦٤-٦١].
ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن ؛ فماذا قال؟

جاء في حديث خباب عند البخاري: "ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمـه" (٣).

فعرض أحـادـيـثـ الـبـشـارـةـ بـأـنـ الـمـسـتـقـبـلـ لـلـإـسـلـامـ عـلـىـ النـاشـئـةـ مـهـمـ فـيـ تـرـبـيـتـهـمـ عـلـىـ الثـبـاتـ.

حادي عشر - معرفة حقيقة الباطل وعدم الاغترار به:

في قول الله -عز وجل-:(لا يَغْرِنَكُ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ) [آل عمران: ١٩٦] [تسريحة عن المؤمنين وتنبيه].

وفي قوله -عز وجل-: (فَأَمَّا الزَّبُدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) [الرعد: ١٧] [عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له].

ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم ((وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ)) [الأنعام: ٥٥] ، حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة ، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام ، وكم سمعنا ورأينا حركات تهاوت ودعاة زلت أقدامهم ؛ فقدوا الثبات لما أتوا من حيث لم يحسبوا بسبب جهلهم بأعدائهم.

الثاني عشر - استجماع الأخلاق المعينة على الثبات:

وعلى رأسها: الصبر ، ففي حديث الصحيحين: "ما أعطي أحد قط خيراً وأوسع من الصبر" ، وأشد الصبر: عند الصدمة الأولى ، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع تحصل النكسة ويزول الثبات إذا عدم الصبر. تأمل فيما قاله ابن الجوزي -رحمه الله-: (رأيت كبيراً قارب الثمانين وكان يحافظ على الجماعة، فمات ولد لابنته، فقال: ما ينبغي لأحد أن يدعو ، فإنه ما يستجيب. ثم قال: إن الله تعالى يعاند مما يترك لنا ولداً) (٤). تعالى الله عن قوله علوأً كبيراً.

لما أصيب المسلمون في أحد لم يكونوا ليتوقعوا تلك المصيبة لأن الله وعدهم بالنصر ، فعلمهم الله بدرس شديد بالدماء والشهداء: ((أَوْ لَمَّا أَصَابَتُكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبَّنَا مُثْلِيَّهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْنَ هُوَ مِنْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ)) [آل عمران: ١٦٥].

ماذا حصل من عند أنفسهم:

- فشلت ،

- وتنازعتم في الأمر ،

- وعصيتم ،

- منكم من يريد الدنيا.

مواطن الثبات:

وهي كثيرة تحتاج إلى تفصيل ، نكتفي بسرد بعضها في هذا المقام:

أولاً: الثبات في الفتنة:

التقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتنة ، فإذا تعرض القلب لفتن النساء والضراء فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة الذين عمر الإيمان قلوبهم. ومن أنواع الفتنة:

- فتن المال: ((وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلُّوا وَهُمْ مُعْرَضُونَ)) [التوبه: ٧٥-٧٦].

- فتنة الجاه: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)) [الكهف: ٢٨].

- فتنة الزوجة: ((إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُواً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ)) [التغابن: ١٤].

- فتنة الأولاد: "الولد مجنة مخلة محزنة" (٥).

- فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم: ويمثلها أروع تمثيل قول الله -عز وجل-: ((قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد)) [البروج: ٤-٥].

وروى البخاري عن خباب رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد برده في ظل الكعبة. فقال -عليه السلام-: "قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحرف له في الأرض ، فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه وعظمه، ما يبعده عن دينه...".

- فتنة الدجال: وهي أعظم فتن المحييا: "يا أيها الناس ؛ إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذراً الله آدم أعظم من فتنة الدجال... يا عباد الله ، أيها الناس ؛ فاثبتو ، فإني سأصفه صفة لم يصفها إياه قبلنبي...".

وعن مراحل ثبات القلوب وزيفها أمام الفتن: يقول النبي صلى الله عليه وسلم-: " تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً ، فأي قلب أشربها نكتت في قلبه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا ؛ لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربداً كالجوز مخيناً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه".

ثانياً: الثبات في الجهاد:

((يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتو)) [الأنفال: ٤٥].

ثالثاً: الثبات على المنهج:

((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا يَدْلُوَا بِنَدِيلًا)) [الأحزاب: ٢٣] ، مبادئهم أغلى من أرواحهم ، إصرار لا يعرف التنازل...

رابعاً: الثبات عند الممات:

((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)) [فصلت: ٣٠].

اللهم اجعلنا منهم ، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزمية على الرشد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١- عتيق: صفة مدح ، مثل: ((وليطوفوا بالبيت العتيق)) ، "عليكم بالأمر العتيق".

٢- حسن. رواه ابن ماجه عن أنس مرفوعاً. صحيح الجامع (٩٢٢).

٣- البخاري.

٤- "الثبات عند الممات" لابن الجوزي.

٥- صحيح الجامع (٧٠٣٧).

٦- رواه ابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة. صحيح الجامع (٧٧٥٢).

٧- رواه أحمد ومسلم عن حذيفة مرفوعاً.

الزيارة بين النساء على ضوء الكتاب والسنة

خولة درويش أهمية الوقت لدى المرأة وأضرار إضاعته:

لقد جرت العادة في أكثر بلادنا الشرقية: أن تخصص المرأة فترة بعد العصر لاستقبال صديقاتها، أو زيارتها على اختلافٍ في طريقة الزيارة أهي دورية منظمة أم عفوية؟ ، وأياً كانت الحال لا يخلو البيت يومها من إعلان حالة طوارئ فيها. فاستعدادات فوق العادة ، تستنزف الجهد ، وتضيع الوقت ، وتبعثر المال. وتحول يوم الاستقبال إلى مبارأة بين الأسر فيما يقدم للضيف ، وفي إبراز مظهر البيت ولباس أهله.

ولو سئلت غالبية النساء عن الهدف من هذه الزيارة؟ لكان أحسن ما يفصحن به: إنه التلاقي لقتل الوقت والتسلية ودفع السأم والملل عنهن. ولا أدرى هل الوقت إلا عمر الإنسان الذي يسأل عنه؟ ومتى السؤال؟ إنه يوم الفزع الأكبر..

عن أبي بردة - رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟، وعن علمه ما عمل به؟، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيه أنفقة؟، وعن جسمه فيما أبلاه؟" (١).

ومن السائل؟ إنه رب العالمين الذي خلق الجن والإنس لعبادته لا للهو ولا للتسلية ؛ ((لَوْ أَرَدْنَا أَن نَتَّخِذَ لَهُواً لَتَّخَذِنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنبياء: ١٧].

فماذا نقول لرب العالمين إذا سألنا عن الوقت المهدور الذي إن لم يخل من المحرمات فلا يخلو من لغو الكلام والثرثرة التي ذمها الرسول صلى الله عليه وسلم-: "إِن أَبْغُضُكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدُكُمْ مِنِي يوْمَ القيمة: الثراثون المتصدقون والمتفقهون"؟ (٢).

ومن أضاع وقته فقد أضاع جزءاً لا يعوض من حياته، وجدير أن تطول عليه حسرته ، وهل الوقت للمرأة وحدها؟! أين حق الزوج والأولاد؟ ومتى تؤدي حقوق مجتمعها وأمتها الإسلامية؟

لمن ترك مهمتها إذا كان همها الخروج من البيت واللهو الفارغ؟ وقد تقول إحداهن: إنها أدت واجباتها، ظناً منها أن مهمتها محصورة في التنظيف وإرضاء الزوج والإنجاب ، وإن التفتت إلى تربية من أنجبتهم فقد لا يتعدى اهتمامها إطعامهم وكسوتهم المناسبة ودراستهم المتوقفة.

لا يا أختاه ، فأنت مربية الأجيال ، وممولة للمجتمع المسلم ببناته من نساء ورجال ، إن واجبي وواجبك التربية الرشيدة لأبنائنا ، وإعدادهم إعداداً إسلامياً يجعلهم قادرين على حمل الأمانة والنہوض بالأمة وبناء المجتمع الفاضل المنشود.

فإن تركتُ وإياكِ أبناءنا والتفتتُ للتسلية فقد خلفنا أبناءً هم الأيتام حقاً رغم وجود أبويهما ، إن اليتيم هو الذي تلقى له أماً تخلت أو أباً مشغولاً ، بل من فقد والديه بالموت قد يجد من يشفق عليه ويرعايه ويحنو عليه، أما من فقدهما في اللهو عنه: فأنى يجد من يرحمه ويفطن لمساته ، فالمرأة المشغولة بنفسها دائماً لن تجد الوقت الكافي للإشراف على فلذات كبدها وتوجيههم ومتابعتهم والأنس بهم ، مما يساعدها على أداء رسالتها وإرضاء ربها.

صحيحٌ أن الدنيا - هي دار الامتحان - مليئة بالمتاعب والصعاب وفي اللقاء تسلية ومؤانسة... لكن هل التسلية غاية من تشعر أنها على ثغر من ثغور الإسلام ، فلا يؤتي من قبلها؟ أم هي غاية العابثات؟ أما وإن الترويح ضروري بين الفينة والأخرى فليكن على غير حساب الآخريات وأوقاتها...!!

كثيراً ما نشكو من غزو أعدائنا الفكري... وأننا مستهدفون محاربون ، فهل أعددنا العدة لمجابهتهم ، أو على الأقل هل حسناً أنفسنا ضد هم روحياً وثقافياً لطالبي بالتسليمة؟ ولا تنصر الدعوات وتنتشر بالتشكي والأسى.

إن ما نعانيه يوجب علينا أن نراعي واقعنا على أساس إسلامية لستطيع النهوض من كبوتنا ، وإلا ستبقى آمالنا سراياً وأمانينا حلماً نرجو أن يتحقق ، وهيات أن يتحقق بدون عمل وجهد وجهاز. ((والذين جاهدوا فينا لنهيئهم سبلنا)) [العنكبوت: ٦٩].

إن العقوبات التي يوقعها الله في أمتنا ما هي إلا لتخاذلنا عن نصرة ديننا وعدم القيام بواجبنا ، والانهزامات التي أصابتنا قد ساهمت بها المرأة من حيث لا تدري ، يوم بدأ دورها ينحصر وتختل عن القيام بواجبها كما ينبغي في التربية والتنمية والتعليم.

وهذه الحقيقة المؤلمة التي تدمي القلب وتحز في النفس ، تدفعنا في الوقت نفسه إلى الاستفادة من أوقاتنا للقيام بمهمنا التي سنسأل عنها: "المرأة راعية في بيته زوجها ومسئولة عن رعيتها" (٣). فلنقم بواجبنا في تربية رجال وأمهات المستقبل ثم لنتلتف إلى التسلية. هذا وإن الرسول صلى الله عليه وسلم- دلنا على طريقة لإبعاد الهم عن النفس ؛ ألا وهي: توثيق الصلة بالله ، نقبل عليه بالطاعات ، ونجعل همنا الدار الآخرة ، فما لهم إلا نتيجة الحرث على الفانية.

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت الآخرة همه: جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأنته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه: جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له" (٤).

ولقد قال تعالى مبيناً مدى الضيق والضنك ، والعيش النك الذي يكون به الغافل المعرض عن ذكر الله، وذلك في الدنيا قبل الآخرة: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنَسَى)) [طه: ١٢٦] .

فل يجعل غايتنا رضا الله تعالى ، وسيبلنا اتباع شريعته ، عندها: نشعر أنه لا فراغ يثقل على النفس ويجلب الهم والحزن ، بل أوقاتنا معمورة بذكر الله وطاعته ، والحياة كلها تصبح عبادة وقربة ، واستفادة من كل لحظة في حياة الإنسان عملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك ، وصحنوك قبل سقمك ، وفراحك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرسك ، وغناك قبل فدرك" (٥).

وإن كان ابن الجوزي قد عجب من أهل زمانه وإصواتهم للوقت فقال: "رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً ، وإن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزارة وسمراً ، وإن طال النهار فالنوم وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق نشبههم بالمتحدثين في سفينه وهي تجري بهم وما عندهم خبر ، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود ، فهم في تعبئة الزاد للرحيل ، إلا أنهم يتفاوتون ، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرة بما ينفق في بلد الإقامة" (٦).

فماذا نقول نحن عن الناس في زماننا؟! وقد أصبح العبث الفارغ أساس حياة أكثرهم ، والتبرم بالحياة سبباً في أمراض نفسية غريبة ، وصار الضيق والهلع من المجهول شبحاً يطارد ضعاف النفوس والإيمان؟!

إن أسلالبهم في اللهو وإضاعة الأوقات تفوق الخيال: فبعد السهر والسحر على شتى البرامج في وسائل اللهو الحديثة المحرمة والمباحة ، النوم حتى الضحى ، واللهاث بقية النهار للدنيا فقط ، وفي أعمال الدنيا.. وكثرة النوم والتناوم هو شأن الخاملين اللاهين. أما الجادون: فيحرصون على أوقاتهم حرص الشحاج على ماله أو أشد حرضاً. حقاً: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" (٧).

أيما أفضل المخالطة أم الانفراد؟

وكانني بك أختي المسلمة تتساءلين: وهل هذا يعني البعد عن الناس وعدم الاختلاط بهم؟ إن اختيار المخالطة مطلقاً خطأ ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ" (٨) ، والإسلام دين تجمع وألفة ، والاختلاط بالناس والتعارف بينهم من تعاليمه الأساسية ، وقد فضل الرسول صلى الله عليه وسلم- المسلم الذي يخالط الناس على ذلك الذي هجرهم وتأنى عنهم: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (٩) ، وكيف يكون الإحسان للجيران والأقارب إلا بمواصلتهم ومعرفة أحوالهم؟

فكم من زيارة دلت على خير في الدنيا والآخرة مساحت بها المسلمة آلام أختها المصابة ، تقوى عزيمتها، تشد أزرها وتدفعها إلى الصبر ، تحس عندها حسن الظن بالله وقرب الفرج ، تشاركها أفرحها ، تعلمها ما تجهله من أمور الدنيا والدين ، تتناصح وإياها وتشاور لما فيه خيرها وخير المسلمين. أما المخالطة العشوائية التي لا يأبه لها كثير من النساء: فما هي إلا مظاهر من مظاهر انهزام المرأة وتخاذلها عن القيام بواجباتها الأسرية ، وهروب من التبعات المنزلية لتمضي مع صويحباتها فترة لهو ولغو. وهي حالة مرضية من حيث الهدف والمضمون. فحربي بنا أن ننسى حديثاً للعلاج قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. ((وَيَوْمَ يَعْصُنَ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ اتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا)) [الفرقان: ٢٧-٢٩].

ولما للمرأة من مكانة عظيمة في توجيه الناشئة وغرس العقيدة الصافية في نفوس الأبناء -أجيال المستقبل، كان لابد من محاولة جادة للاستفادة من وقتها وعدم إضاعته سدى في مجاملات تافهة ، ومظاهر فارغة.

لقد كانت المرأة أما وزوجة خير عن على الخير لما تطلعت نحوه ، وشر دافع نحو الخراب والدمار لما سعت إليه. كانت مطية للأفكار الهدامة في القرن العشرين ، وستكون مشعل نور للأجيال إن تمسكت بعقيدتها ودينها.

والله أسأل: أن يجعل هذه المحاولة لبناء تعين الأسرة المسلمة على إكمال رسالتها ، وأن يلهم مسلمة عصرنا رشدها لتعود كسابقتها الصالحة مرشدة لكل خير وفضيلة.

- يتبع -

الهوامش:

١- رواه الترمذى وقال: حسن صحيح.

- ٢- أخرجه الترمذى في البر والصلة من حديث جابر وحسنه. وهو في المسند ١٩٣/٤، وانظر شرح السنة ٣٦٧،/١٢
- ٣- صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٣، / ١٢
- ٤- رواه الترمذى / ٢٥٨٣،
- ٥- أخرجه أبو نعيم في الحلية مرسلاً ، وأخرجه الحاكم ٣٠٦ / ٤ موصولاً. ينظر شرح السنة ٢٤،/١٤
- ٦- صيد الخاطر / ١٤٢،
- ٧- رواه البخاري في الرقاق ، والترمذى في الزهد.
- ٨- فتاوى ابن تيمية ٤٢٦،/١
- ٩- مصنف ابن أبي شيبة ٥٦٤ / ٨

كتاب في مقال الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن عرض وتقديم: محمد عبد الرحمن آل الشيخ

الاهتمام بالقرآن وتفسيره مظهر من أهم مظاهر الاهتمام بالإسلام ، ومنذ عصر الإسلام الأول ومكتبة التفسير تزداد غنى وتضخماً ، حتى أصبح القارئ اليوم يجد نفسه في حيرة أمام هذه الكتب ومنهاجهاً ، فلا يكاد يسلم له اختيار ، ولا تستقيم له قراءة ، إذا لم يبذل جهداً كبيراً في اختيار الكتاب والكاتب ، من هذا المنطلق على جماعة من علماء المسلمين بأصول التفسير ومنهجه ، فكتبوها عن التفسير وتاريخه ومراحل تطوره، وكتبوا عن المفسرين واتجاهاتهم وغاياتهم ، ليخلصوا بعد ذلك إلى منهج واضح في التعامل مع المفسرين في كتبهم، تعين القارئ المسلم في تناوله لكتب التفسير ، وتجعل أمامه معايير واضحة في القبول والرد لأي فكرة أو عبارة.

ويعد الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله - واحداً من علماء المسلمين الذين تخصصوا في التفسير وعلمه، فعاش مع الأولين والآخرين من خلال قراءاته لكتبه المطبوعة والمخطوطية ، ويكتفي شاهداً على مكانته في هذا المجال كتابه القيم "التفسير والمفسرون" ، غير أن للشيخ كتيباً آخر - وإن كان جزءاً كبيراً منه مأخوذاً من الكتاب الأول - يقع في حوالي مائة صفحة تحت عنوان: "الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها" ، ومع صغر حجم الكتاب إلا أنه وفي الموضوع توفيقية جيدة ، وأبان فيه كثيراً من أحوال الذين دخلوا عالم التفسير ولكن لم تسلم مؤلفاتهم من انحرافات وأخطاء ، ولا نعني بها الأخطاء الفردية الجانبية ، بل المنهجي منها ، حيث يلتزم المؤلف في تفسيره منهجاً غير سليم في تناول النصوص القرآنية يخالف أهل السنة.

والكتاب يقع في مقدمة وتنبع مقالات ، تكلم في المقدمة عن تدرج التفسير ، وعن مبدأ ظهور الانحراف ، ثم في المقالات التسع: ذكر أحوال تسعه اتجاهات تناولت القرآن تناولاً فيه انحراف في جانب من جوانب منهجها.

المقدمة:

تكلمت المقدمة أولاً عن تدرج التفسير ، فتكلم المؤلف في البداية عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم- القرآن للصحابة ، وذكر خلاف العلماء حول: هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم- القرآن

جميعه للصحابة أم بعضاً؟ واختار: أن النبي صلى الله عليه وسلم- إنما فسر معظم القرآن ، وأن هناك أشياء لم يفسرها للصحابة مثل ما استأثر الله بعلمه ، أو ما تعرفه العرب بلغتها ، أو ما يعرفه المرء من القرآن بداهة ، أما الأمور التي هي من اختصاص العلماء فهي التي كانت مجال التفسير كبيان المجمل ، وتخصيص العام وتقييد المطلق... وغير ذلك مما خفي معناه والتبس المراد به.

ثم جاء بعد ذلك عصر التابعين الذين أخذوا التفسير مشافهة من الصحابة ، وزادوا على ذلك باجتهاداتهم بمقدار ما زاد من الغموض الذي كان يتزايد كلما بُعد الناس عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا استمر تنقل التفسير بين الطبقات، يزداد الناس بعدها عن عصر النبي صلى الله عليه وسلم- وتزداد اجتهادات العلماء لسد تلك الفجوة ، حتى ظهر عصر التدوين.

ويقسم المؤلف مراحل التفسير منذ عصر التدوين إلى يومنا هذا إلى أربع مراحل ؛ فيجعل: الأولى: يوم كان التفسير جزءاً من كتب الحديث ، وكان التفسير بالمؤلف يروى بأسانيده ، وأحياناً يفرد له باب داخل كتب الحديث.

والمرحلة الثانية: يوم انفصل التفسير في كتبه المستقلة ، ومن أعلام هذه المرحلة - عند المؤلف :-
ابن ماجه (ت: ٢٣٧ هـ) وابن جرير الطبرى (ت: ٣١٠ هـ) وغيرهما ، وقد عَدَ الكاتب هاتين

المرحلتين من المراحل الخيرة في تاريخ تدوين التفسير بالمؤلف.

ولكن المرحلة الثالثة: لم تكن كسابقتها ، حيث شهدت ظهور تفاسير لم تعتن كثيراً بالأسانيد وإثباتها، بل عمدت إلى اختصارها وذكر أقوال السلف من غير سند ، ومأخذ الكاتب على هذه المرحلة نقله بعبارة؛ حيث يقول: "دخل الوضع في التفسير ، والتبس الصحيح بالعليل ، وكان هذا مبدأ ظهور الوضع في التفسير.

ثم تأتي المرحلة الرابعة: وهي أوسع المراحل حيث امتدت من العصر العباسي إلى هذا اليوم ، يقول- رحمه الله: فبعد أن كان التفسير مقصوراً على روایة ما نقل عن سلف هذه الأمة ، وجدناه يتجاوز هذه الخطوة إلى تدوين تفاسير اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي ، وكان ذلك على تدرج ملحوظ ، فبدأ أولاً على هيئة محاولات فهم شخصي وترجح بعض الأقوال على بعض ، وكان هذا أمراً مقبولاً مادام يرجع الجانب العقلي منه إلى حدود اللغة ودلالة كلمات القرآن. ولكن جانب الفهم العقلي أخذ يخرج عن إطاره المقبول مع مرور الزمن، إلى أن وصل إلى مرحلة قال عنها: حتى وُجد من كتب التفسير ما يجمع أشياء كثيرة لا تكاد تتصل بالتفسير إلا عن بُعد عظيم. واشتملت المقدمة كذلك على مبحث في: مبدأ ظهور تلك الاتجاهات المنحرفة ، مع دراسة تحليلية موجزة لأسباب ذلك.

ليس من الصعب على من يقرأ كلام المؤلف أن يخلص إلى أنه يرجع أسباب تلك الانحرافات إلى عاملين: أولهما: حذف الأسانيد ، والعامل الآخر: اتجاه أهل الرأي في تفسير القرآن ، حيث يقول: ولاشك في أن انتهاء التفسير بالرأي إلى إخضاعه لميول شخصية ومذاهب عقدية وغير عقدية فتح على المسلمين باب شر عظيم. ولهذا العامل عنده سببان:

أولهما: أن يعتقد المفسر معنى من المعاني ، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى قسراً ، وإن كان ما قصد إليه معنى حساً ، ولكن لا علاقة له بالآية ، كمن فسر قوله تعالى: ((ولو أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ افْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ)) [النساء / ٦٦] ، بأن قتل النفس هنا: مخالفتها ، والخروج من الديار هو: إخراج حب الدنيا من القلوب. وقد يكون المعنى الذي قصد إليه خطأ أصلاً ، ومع هذا يريد أن يحمل كلام الله عليه ، ومثل على ذلك بمن فسر قوله تعالى: ((وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ

وَتَبَئَّلْ إِلَيْهِ تَبَتِّلًا)) [المزمول ٨ / ٨] اذكر اسم ربك الذي هو أنت ، أي: اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله.

والسبب الثاني: أن يقف المفسر مع ظاهر اللفظ ،دون نظر في حال القوم الذين نزل فيهم القرآن ، أو سبب نزول الآية.

وبعد هذه المقدمة ، بدأ في تناول الاتجاهات المنحرفة وهي:

١ - اتجاه الإخباريين والقصاص.

٢ - اتجاه أصحاب المذاهب النحوية.

٣ - اتجاه من يجهل قواعد النحو.

٤ - اتجاه المعتزلة.

٥ - اتجاه الشيعة.

٦ -- اتجاه الخوارج.

٧ - اتجاه الصوفية.

٨ - اتجاه أصحاب التفسير العلمي.

٩ - اتجاه مدعى التجديد.

وقد استغرق الكلام على هذه الاتجاهات بقية الكتاب ، وسنقتصر في هذا المقال على ذكر اتجاهين اثنين، أحدهما قديم والأخر حديث ، هما: الشيعة ومدعى التجديد.

وقد نهج المؤلف في دراسته لهذه الاتجاهات نهجاً تحليلياً موفقاً ، فبدأ وقدم لكل اتجاه بمقدمة موجزة تكلم فيها عن مذهب القوم وبعض عقائدهم التي تخالف عقائد أهل السنة ، ثم أخذ أمثلة من تفاسيرهم ، وذكر انحرافاتهم فيها ، وكيف أولاً آيات القرآن لتوافق آراءهم ومذاهبهم ، ويتابع ذلك غالباً بالرد على ادعاءاتهم ، وإبطال تأويلاتهم.

الاتجاهات المنحرفة في تفسير الشيعة:

بدأ الحديث عن الشيعة بذكر أقسامهم من جهة غلوهم في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-، ولخص بعد ذلك عقائد الإمامية الإثنى عشرية القائلين بإمامية الثاني عشر إماماً، فقال: وللإمامية الإثنى عشرية تعاليم ، أشهرها: العصمة والمهدية والرجعة والتقية. وأتبع ذلك بشرح موجز لكل عقيدة من هذه العقائد.

وتكلم بعد ذلك عن تفاسير القوم ، وضرب أمثلة لكيفية اعتسافهم لآيات القرآن الكريم لتوافق عقائدهم ، وحسبنا أن نورد هنا مثلاً واحداً مما ورد في الكتاب ، فقد نقل عن البرهاني في تفسير للآيتين ٨ ، ٩ من سورة الذاريات: ((إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِّفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفْكَ)) أنه قال: يروى عن أبي جعفر أنه قال في تفسيرها: اختلف في ولالية هذه الأمة ، فمن استقام على ولالية عليٌ دخل الجنة ، ومن خالف ولالية عليٌ دخل النار ، وأما قوله: ((يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفْكَ)) قال: يعني علياً ، ومن أفك عن ولاليته أفك عن الجنة. ثم يرد المؤلف على هذا الانحراف ردًا منهجاً جيداً حيث يقول: ولسنا بحاجة إلى الإطالة في إبطال هذا الاتجاه ، بعدما أثبت لنا علماء الحديث ونقاده أن كل الروايات في ولالية علي ليس لها أساس من الصحة ، وأنها من وضع الشيعة أنفسهم ليروّجوا بها مذهبهم في الإمامة والأئمة.

القارئ لهذا الفصل من الكتاب يصل في نهايته إلى حيث أراد الكاتب: من أن تفاسير القوم لم توضع بتجرد وإخلاص ، ولا يمكن اعتبارها تفاسير للقرآن بقدر ما يمكن اعتبارها قنوات لصب أفكار الشيعة وعقائدهم من خلالها.

الاتجاهات المنحرفة في التفسير لبعض مدعى التجديد:

إذا كان الكاتب قد التزم الاتزان في العبارة ، والهدوء في المناقشة والرد - وهو خلق جيد -، فإنه هنا وإن لم يخرج عن هذا الإطار إلا أنه استخدم عباراتٍ أشد وأسلوباً أقوى مع أصحاب هذا الاتجاه ، ولعل ذلك عائد إلى أنه عذّ بعضهم ممن يريد الكيد للإسلام وأهله ، وبعضهم ممن أفحى نفسه في هذا المجال وليس من أصحابه ، فنجد المؤلف في هذا الفصل بعد أن ذكر أن الإسلام بُليّ بقوم كادوا له ، وعملوا على هدمه ، نراه يقول بعد ذلك: مني الإسلام بهذا من أيامه الأولى ، ومني بمثل هذا في أحدث عصوره ، فظهر في هذا القرن أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله ، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم ، ويقضي حاجات نفوسهم... فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتعريف كتاب الله تعالى سبب لظهوره وشهرته في المحيط العلمي ، فذهب يفسر كتاب الله تفسيراً لا تقره لغة القرآن ، ولا يتفق مع قواعد الدين العامة ، ومنهم من تلقى من العلم حظاً يسيراً لا يرقى به إلى مستوى العلماء ، ولكنه اغتر بما لديه فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين في العلم ، ونسى أنه قل في علم اللغة نصبيه ، وخف في علم الشريعة وزنه ، ... فأخذ يهذي بأفكار فاسدة تتنافى مع ما قرره علماء اللغة وأئمة الدين.

بها الأسلوب وبهذه الروح تناول الكاتب أصحاب هذا الاتجاه.

ومن أصحاب هذا المنهج: صاحب كتاب "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن" ، وقد ثار على هذا الكتاب علماء الأزهر حتى صودر ومنع ، فقد تسلط صاحب هذا التفسير على معجزات الأنبياء وجردها من معانيها الإعجازية ، فلا عيسى عنده ينفع في الطين فيصير طيراً بإذن الله ، ولا هو يبرئ الأكمه والأبرص ولا يحيي الموتى بإذن الله. وما نقله عنه المؤلف في تفسيره لقوله تعالى ((وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاؤِدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَّ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنبياء: ٧٩]، يقول: ((يُسَبِّحُنَّ)) يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعته الحربية ، ((والطير)) يطلق على كل ذي جناح ، وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطيات الهوائية ، وفسر قوله تعالى: ((وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)) [الأنبياء: ٨١] يقول: ((تَجْرِي بِأَمْرِهِ)) الآن تجري بأمر الدول الأوروبية وإشاراتها في التلغراف والتلفونات الهوائية.

فليس بعد ذلك من عجب أن يقسوا الذهبي -رحمه الله- على هذا المفسر ويقول عنه: وهذا بلا شك خروج صريح عن مدلولات النصوص القرآنية والإحاد في آيات الله سبحانه وتعالى.

وبعد ، فهذا هو الكتاب كما قرأته ، لا يخلو كل قارئ له من أن يصل في نهايته إلى معرفة الانحرافات التي قد ترد على كتب التفسير وأسبابها ، ولا يخلو القارئ كذلك أن يستنتج من إجمال الكتاب المنهج الصحيح في التفسير ، الذي به نستطيع قبول قول المفسر أو رده ، ولم يتتوسع - رحمه الله - في ذلك ، ولم يعرضه عرضاً مستقلاً ، لأن عنوان الكتاب مقصور على الاتجاهات المنحرفة ، ولكن يمكن أن نستنتاج جانباً من ذلك من خلال كلامه وردوده ، فأفهم مقومات المنهج الصحيح فيما ذكر: الاهتمام بالأسانيد وتحقيقها ليعلم الصحيح من الدخيل ، ويضاف إلى ذلك التجدد في تناول الآيات القرآنية دون إخضاعها لمؤثرات ومقررات سابقة.

ذكر ياقوت الحموي في كتاب "معجم البلدان" قصة تتعلق بموقف عمر بن عبد العزيز من جامع دمشق الذي بني في عهد الوليد بن عبد الملك ، فقال: "لما ولت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه- قال: إني أرى في أموال مسجد دمشق كثرة ، فقد أنفقت في غير حقها ، فأنا مستدرك ما استدرك فاشتد على أهل دمشق ، أنزع هذا الرخام والفسيـفـاء ، وأنزع هذه السلسل وأصير بدلها حبـلاـ ، وينهي قولهـمـ إلى عمر من حيث لا يعلمون ، فمررواـ في الصحن حتى استقبلواـ القبلـةـ فرفعواـ رؤوسـهمـ إلىـ المسـجـدـ ، فنكـسـ رئيسـهـ وأصـفـرـ لـونـهـ ، فقالـواـ لهـ فيـ ذـلـكـ ، فقالـ: إـنـاـ كـنـاـ مـعـاـشـ أـهـلـ روـمـيـةـ نـتـحدـثـ أـنـ بـقـاءـ العـرـبـ قـلـيلـ ، فـلـمـ رـأـيـتـ مـاـ بـنـواـ عـلـمـتـ أـنـ لـهـمـ مـدـةـ لـابـدـ أـنـ يـبـلـغـوـهـاـ ، فـلـمـ أـخـبـرـ عمرـ بنـ عبدـ العـزـيزـ بـذـلـكـ قـالـ: إـنـيـ أـرـىـ مـسـجـدـكـمـ هـذـاـ غـيـظـاـ عـلـىـ الـكـافـارـ ، وـتـرـكـ مـاـ هـمـ بـهـ". تلك هي القلوب الخفافة المتعلقة بربها -عز وجل- والتي عزفت عن الركون إلى الدنيا وشهوات النفس ، وارتقت فوق الإحن ، ولم تعرقلها السلبيات ، فتجد أن مواقف أولئك الرجال عزة الدين الله ، متمثلة لقول بارئها وواعية له: ((أَذْلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)) وغيظاً لأعداء الله ((يَغْيِظُ بِهِمُ الْكُفَّارَ)).

والذي جعلني أذكر قصة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهـ . وموقفه ذلك: نظرة كبار المؤرخين والمفكرين من أعداء الإسلام وموقفهم من الحركات الإسلامية المجددة منها خاصة ، والتي تعمل على تجديد معالم الدين وإعادة الروح الإسلامية الخالصة الحقيقة إلى أبناء الأمة الإسلامية ، تلك الحركات التي لم تقبل الانقياد للأفكار الغربية الملحدة ، ولم تخضع وتتسكـرـ للحاقدـينـ علىـ الإـسـلـامـ.

وسأذكر فيما يلي موقف بعض الحاقدـينـ علىـ تلكـ الحـركـاتـ المـجـدـدـةـ لـدـيـنـ الإـسـلـامـ ، فيـصفـهاـ بـصـورـةـ مشـوهـةـ ، ويـظـهـرـ التـحـامـلـ وـدـمـ الرـضاـ منـهاـ . وصدق الله -عز وجل-: ((وَلَنْ تَرْضَى عَنَّكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبَعَ مَلَّهُمْ)) وقوله-عز وجل-: ((وَلَا يَرَأُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُوكُمْ عَنِ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوـ)).

وأول المواقف التي أريد التعرض لها والحديث عنها: لأحد مشاهير المؤرخين الأوروبيين "أرنولد تويني" وذلك في محاضرتين ألقاهما ما بين عامي ١٩٤٧-١٩٥٢، وقد ترجمهما الدكتور نبيل صبحي الطويل إلى اللغة العربية في كتاب بعنوان "الإسلام والغرب والمستقبل" ، وطبع للمرة الأولى عام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ مـ.

تحـدـثـ توينـيـ فيـ مـحـاـضـرـتـهـ الـأـوـلـىـ عـنـ بـدـاـيـةـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الإـسـلـامـ وـالـغـرـبـ ، وـذـكـرـ أـنـهـ بدـأـتـ فـيـ الـقـرـنـ السـابـقـ الـمـيـلـادـيـ ، حـيـنـماـ حرـرـ الـمـسـلـمـونـ سـلـسـلـةـ مـنـ الـدـوـلـ الـشـرـقـيـةـ مـنـ سـيـطـرـةـ الـرـوـمـانـ ، مـنـ سـوـرـيـةـ شـرـقاـ إـلـىـ أـسـبـانـيـاـ غـرـباـ ، بـعـدـ أـنـ كـانـتـ تـحـتـ الـحـكـمـ الـرـوـمـانـيـ مـدـةـ أـلـفـ عـامـ تـقـرـيـباـ. وـاسـتـمـرـ الفـتـحـ الـإـسـلـامـيـ حـتـىـ شـمـلـ جـمـيعـ بـلـادـ الـهـنـدـ ، وـانتـشـرـ أـيـضـاـ فـيـ أـنـدـوـنـيـسـياـ وـالـصـينـ شـرـقاـ، وـفـيـ أـفـرـيـقـياـ الـإـسـتوـانـيـةـ جـنـوباـ ، وـكـلـ مـاـ تـبـقـىـ مـنـ الـعـالـمـ الـمـسـيـحـيـ الشـرـقـيـ فـيـ آـسـيـاـ الـوـسـطـىـ ، وـجـنـوبـ شـرـقـيـ أـورـوـبـاـ خـضـعـ فـيـ الـقـرـنـيـنـ الـرـابـعـ وـالـخـامـسـ عـشـرـ لـحـكـمـ الـمـسـلـمـيـنـ الـعـثـمـانـيـنـ ، وـبـقـيـ عـلـمـ الـهـلـالـ يـرـفـرـفـ فـوـقـ السـوـاـحـلـ الـشـرـقـيـةـ لـبـحـرـ الـإـدـرـيـاتـيـكـ حـتـىـ عـامـ ١٩١٢ـ، وـبـعـدـ أـنـ فـشـلـ الـأـتـرـاكـ لـلـمـرـةـ الـثـانـيـةـ فـيـ حـسـارـ فـيـنـاـ عـامـ ١٦٨٣ـ بـدـأـ الـهـجـومـ الـغـرـبـيـ الـمـعـاـكـسـ عـلـىـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ.

ولم يكن هذا الهجوم ردًا مباشراً مماثلاً للغزو الصليبي ، بل كان تطويقاً للإسلام عن طريق السيطرة على المحيطات ، ونجح الغرب في عقد الحبل حول عنق الإسلام في أواخر القرن السادس عشر، ولم يتم الخناق إلا في القرن التاسع عشر. [الإسلام والغرب والمستقبل: ١٦-١٨].

وفي هذه الفترة الزمنية: أدرك العثمانيون أنهم بحاجة إلى التقنية الغربية، أي: بعد فشلهم بمائة سنة من حصار فيينا خاصة في المجال العسكري، وكان مصطفى كمال واحداً من الضباط الذين تشربوا الأفكار الغربية بينما كانوا يتعلمون الفنون الغربية ، وكان هدف هذا العسكري هو التغريب الكامل لتركيا وفرض برنامجه على الناس بقوة القانون ، فتحرير المرأة وإزالة الدين الإسلامي وفرض الأحرف اللاتينية بدل الأبجدية العربية كل ذلك شرع بقوانين ما بين "١٩٢٢-١٩٢٨" (ص ٢٥).

ثم يقول: "من المؤكد أن الشعب التركي بوحي من أتاتورك قد خدم العالم الإسلامي كله!! عندما حاول حل المسألة الغربية المشتركة باقتباسه الحياة الغربية الحديثة كلها بدون أية تحفظات والقومية الغربية جزء منها" (ص ٢٩).

هذا هو ملخص المحاضرة الأولى لتوبيني:

ولكن... إنه لمنطق عجيب أن يدعى توبيني بأن مصطفى كمال أتاتورك خدم العالم الإسلامي!! أية خدمة هي التي يقول عنها توبيني قبل قليل، إن أتاتورك أزال الدين الإسلامي!! وحرر المرأة!! وذلك يعني بأنه أخرجها من سترها وحشمتها سافرة عارية ، وأصبحت سلعة رخيصة كما هي حال المرأة في الغرب.

وأية خدمة قام بها مصطفى كمال بتغيير الحروف العربية ووضع بدلها الحروف اللاتينية!! ولكن العجب ينقضي عندما يعلم المسلم: أن هذا هو منطق الحاقدين على الإسلام وأهله ، خدمته هي القضاء عليه! والكلام لا يحتاج إلى طول تعليق.

وأما المحاضرة الثانية والتي عنوانها: "الإسلام والغرب والمستقبل" فلا أريد التعرض لكل ما ذكره توبيني فيها ، بل أكتفي بالتركيز على موضع الشاهد من القصة التي أورتها في البداية.

بعد غزو الغرب للعالم الإسلامي، فإنه انقسم إلى قسمين شأنه في ذلك شأن كل المجتمعات المغلوبة التي تواجه مجتمعاً آخر متحضرأ، وفي هذا يقول توبيني كما هو في النص المترجم: "كلما واجه مجتمع متحضر مثل هذا الموقف - أي: الغزو - أمام مجتمع متقوّق آخر نجد طريقيين لا ثالث لهما للرد على هذا التحدّي... فريق أصبح متمسكاً متحمساً متعصباً (ZEALOT) وفريق ثان أصبح مقلداً متكيفاً (HERODION)، ويعرض توبيني الفريق الأول (المتحمس) بأنه الإنسان الذي يتهرّب من الشيء المجهول ويلجأ للشيء العادي المتعارف عليه. ويذكر أن ممثلي هذا الطريق - المتحمس - في العالم الإسلامي المعاصر: "هم تلك الحركات السلفية أمثال السنوسية في شمال أفريقيا ، والوهابية في أواسط شبه جزيرة العرب".

ويعتبر أن من الخصائص الملحوظة عند هؤلاء المتحمسين هي أن معاقلهم تقع في مناطق مجده قليلة السكان ، بعيدة عن الطرق الرئيسية الموصلة إلى العالم الحديث.

ثم يذكر أيضاً من الأمثلة على المتحمسين في العالم الإسلامي: الإمام "يحيى حميد الدين" في صنعاء ، ومن الأمثلة على المقلدين التي يذكرها توبيني: محمد على باشا - في مصر ، ومصطفى كمال أتاتورك.

وكما ذكرت فيما سبق من حرصي على نقل مقاطع مترجمة حرفيًا من أقوال توينبي ليكون القاريء على بيته من نظرة الحقد التي ينظرها الصليبيون إلى العالم الإسلامي ، وما تخفى صدورهم أكبر تجاهحركات الإسلامية الأصيلة، حيث يصفها بالتعصب والتحمس وعدم استعمال العقل والتفكير... وفي حالة حصول المواجهة بين الغرب وأولئك المتحمسين المتعصبين على حد تعبيره يقول: "ولكن المتحمس المسلح ببن دقية أو توماتيكية لم يعد ذلك المتحمس المتصرف التقى ، لأنه باستعماله لأسلحة الغرب قد وطئ أرضًا دنسة ، ولاشك أنه إذا فكر في الأمر سؤللياً ما يفعل ذلك لأن سلوكه في الأساس غريزي غير عقلاً- يقول في نفسه: لن أتعذر الحدود التي وصلتها في تعاملها مع الغرب".

وفي مقطع آخر يقارن توينبي بين المقلدين والمحمسين ، فيتحامل على المتحمسين ويلمز بهم وينقصهم، فيقول: "والواقع أن حركة المقلدين المسلمين هي أكثر فعالية وتأثيراً من حركة المتحمسين... لهذا يلغاً المتحمس إلى الماضي كالنعامة التي تحاول وأدرأسها في الرمال لتخبيء من ملامحها ، أما المقلد فهو يواجه الحاضر بشجاعة، ويحاول اكتشاف المستقبل، فالمحمس تسيره الغريزة ، والمقلد يسيره العقل".

ثم تعرض مرة أخرى إلى الحديث عن الثورة التي حصلت في تركيا- أي: في عهد مصطفى كمال- ، وأن ثورته لم تقصر على تغيير الدستور، فيقول: "قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي - الخليفة -، وألغت منصبه، وجردت رجال الدين المسلمين، وحلت منظماتهم، وأزال الحجاب عن رأس المرأة واستنكرت كل ما يرمز إليه الحجاب ، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية... وكنست الشريعة الإسلامية بأكملها".

كل هذه الأعمال التي قام بها مصطفى كمال تعتبر إصلاحية ، وخدمة للعالم الإسلامي في نظر توينبي!! ومهما حصل من أخطاء في طريقة التنفيذ فلهم عذرهم المقبول حسب رأيه ، وفي محاولة تبريره لتلك الجرائم يقول توينبي: "ولقد قامت ثورة المقلدين الأتراك بهذه الروح فواجهت عقبات ضخمة ومعاكسات شديدة، حتى أن أي مراقب متواقٍ يضع في حسابه احتمالات قيام أخطاء فاحشة بل حتى جرائم ، ويرجو للثورة النجاح في القيام بأعبائها الهائلة".

ومن الشعوب التي يعتبرها أيضًا من المحمسين المتعصبين: قبائل الباتان التي قامت ضد الطاغوت الذي كان يحكم أفغانستان الملك "أمان الله" ، ثم يتحدث عن نوعية الاصطدامات التي تقع بين المحمسين من المسلمين والمقلدين الذين ينتسبون للإسلام ظاهراً ويعادونه خفية وباطناً ، بل ربما تتکروا للإسلام ظاهراً وباطناً ، يقول: "ويمكن أن نلاحظ في سياق بحثنا أن أي اصطدام وقع ويقع بين المحمسين وأبناء جلدتهم من المقلدين المسلمين ، يلقى المحمسون فيه عنا شديداً ، ويعاملهم المقلدون معاملة قاسية لا يتجرأ الغربيون على القيام بها ، فالغربيون يعتذرون للمحمسين بالبساط ، أما المقلدون المسلمين فيعدونهم بالعقارب".

والأمر الذي يخشاه توينبي ويحذر من عودته هو الوحدة الإسلامية وعودة الإسلام إلى الساحة مرة أخرى كما كان عليه من قبل ليلعب دوره الرئيسي في القضاء على الفساد الناتج عن امتداد الغزو الغربي الذي يرافقه التفرقة العنصرية ، والاختلال الظبقي وغيرها من مفاسد الحضارة الغربية ، وفي ذلك يقول توينبي: "أما في المستقبل البعيد: فيمكن التكهن باحتتمال قيام الإسلام بالإسهام في أوجه جديدة للدين ، وهذه الاحتمالات المتعددة تتوقف على الوجهة السعيدة التي سيتمكن منها وضع الإنسانية الحاضر" (ص ٦٨).

ثم يقول: "صحيح أن هذه الإمكانية المدمرة للإسلام لا تظهر الآن حتمية الواقع؛ لأن الكلمة المؤثرة "الوحدة الإسلامية" .. بدأت مؤخرًا تفقد سيطرتها التي كانت على عقول المسلمين" ، ثم يقول: "فحركة الوحدة الإسلامية نفسانياً هي الدعوة المثلثة التي تسري في عروق المسلمين المتحمسين أمثال الوهابيين والسنوسين ، إلا أن هذا الاستعداد النفسي للوحدة يصطدم بعقوبات تكنيكية" (ص ٦٨). ثم يعبر عن خشيه من عودة الوحدة الإسلامية بعبارات واضحة جلية، وهذا ما يختتم به محاضرته فيقول: "صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة" ، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ ، إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية ، ونادت بز عامة معادية للغرب ، فقد يكون لهذا العداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام ، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف ، إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصوات التاريخ البطولي للإسلام.

هناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي ، ففي عهد الخلفاء الراشدين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم: "حرر الإسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلها مدة ألف عام تقريباً" ، وفي عهد "نور الدين" و "صلاح الدين" و "الممالئك": احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول ، فإذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية ، يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى ، وأرجو ألا يتحقق ذلك (ص ٧٣).

أخي القارئ الكريم: هذا هو كلام المؤرخ الأوربي الشهير الذي يعتبر أسوة لأبناء جلدته ومن شاكلهم في الحقد على هذا الدين وعلى تلك الحركات الأصلية ، وهذه الكلمات التي يختتم بها محاضرته: "أرجو ألا يتحقق ذلك"!! يرجو ألا تعود الوحدة الإسلامية؛ لتفق الأمة في مكانها الرائد ، ولتقوم بدورها المطلوب في إنقاذ الشعوب وتحريرها من سيطرة الطواغيت والأنظمة الجاهلية بكل مسمياتها ، وإعادتها إلى نظام توحيد الألوهية الذي دعت إليه جميع الرسل ، وتتنفيذ قول الله -عز وجل- : ((إن الحكم إلا لله)).

إن مما يغيط الحاقدين على الإسلام ويثير حنقهم: تلك الحركات التي يتهمها بالتعصب والحماس... الوهابية والسنوسية وقبائل الباتان ، تلك الحركات التي يحكم توينبي بأن نهايتها الموت المحقق والفناء الكامل ، لأنها تواجه الحضارة الغربية.

ولقد خيب الله تعالى ظن توينبي وأمثاله؛ إذ ظنوا أنهم سيقضون على الأصوات التي ارتفعت تنادي بالعودة إلى شرع الله والأيدي التي حملت السلام لتذود عن دين الله. ظن أن ما فعله محمد علي باشا بإشارة من الإنكليز والفرنسيين في ضرب الحركة الوهابية في عقر دارها ، ظن أنها ستنتهي إلى الأبد ، وهيهات له ذلك ، فلقد تأثر بأفكار محمد بن عبد الوهاب معظم الحركات الإسلامية في شرق العالم وغربه.

وظن أن ما فعله الملك "أمان الله" مع قبائل الباتان في قيامه ضدهم وتعاونه مع الإنكليز للقضاء عليهم في أفغانستان ظن أنهما قد قضي عليهم وانتهوا ، فكيف لو اطلع توينبي ورأي ما يحدث بأفغانستان على أيدي من يصفهم بالمتعصبين المتحمسين ، من مواجهتهم لأظلم وأشرس وأشد طواغيت الأرض من الشيوخ عيين ، لقد أرغم هؤلاء المتحمسون أنف الروس والشيوخ عيين وأذاقوهم كؤوس المنون وبالرغم من كل ما تعدد من مكر الليل والنهار.

ونسأل الله أن يجعل كيد الخائن في نحورهم ، فما كان الروس يتوقعون أن تحدث لهم مثل هذه المذلة باحتلالهم لأفغانستان ، الذي كانوا يظنونه: أن احتلال أفغانستان كسب مهم لروسيا وخطوة عملية

بضمهم أفغانستان للإمبراطورية الشيوعية، وذلك لكثرة خيرات أفغانستان وثرواتها ، ولكن "رب
حفل امرئ فيما تمناه".

إنني أهيب بالمخالصين من دعاة الإسلام وحملة رايته بشتى أصنافهم، شباباً وشيوخاً، علماء وطلاب علم، وأدعوهم إلى أن يتمثلوا موقف الخليفة الراشد مجدد القرن الأول عمر بن العزيز -رضي الله عنه- في كل ما يغيط أعداء الله وأعداء هذا الدين (١).

فلنقول ونؤازر كل ما يغيط أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وسلم، وبذلك ننال رضى الله تعالى، ونحقق معنى الموالاة لأولياء الله والبراءة من أعداء الله ، وبذلك يتحقق قول الله -عز وجل- :((لا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ))، وقوله تعالى: ((لَا تَجُدُّ فَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله" ، ثم لينطلق لسان المؤمن بربه وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- بعد قراءة هذا المقال بقول الله تعالى: ((فَلْمُؤْمِنُوا بِعَيْنِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)).

١- انظر مجلة البيان العدد الثالث، حيث ورد كلام مفصل عن التجديد في عهد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه.

أدب وتاريخ - قصة قصيرة الأشباح

علی محمد

كانت عقارب الساعة متتابعة متناقلة ، تقترب من الحادية عشرة مساءً ، عندما كان السيد حمدي يقطع الطريق المتنلوى الذي تشخص إليه عيون الأشجار الكهله الكثيفة، زائفة مضطربة تحت أشعة ضوء القمر التي تدس أنفها في كل زاوية ، فاضحة أسرار الظلام مشكلة أخيلةً ، جميلة حيناً ، محيرة حيناً ، مخيفة حيناً آخر ، بينما تأخذ النسمات الشمالية اللطيفة الباردة دورها في تحريك الأخيلة يمنة ويسرة، وتعبث بالأوراق والأغصان، محدثة أصواتاً ترمز أو لا ترمز إلى شيء.

وكان الحديث الذي دار في تلك الأمسية عن الجن والغفاريت يملأ وعيه، ويعيش بين ضلوعه، وما أن بدأت بعض الحصيات تتطاير بفعل الحركة المرنة لمؤخرة حذائه الإسفنجي الصيفي حتى بدأ بإسقاط كل ما دار في تلك الأمسية على محاوره الذاتية النفسية ، معللاً كل حركة ، ومؤولاً كل خال ، مستخدماً كل معلماته في الحغر افأ و علم الاحتماء

هذه الحركة الخشنة البطيئة المرعبة عند تلك الشجرة الضخمة ، أقرب ما تكون إلى حركة شمهرش ملك الجن الأحمر... وهذه رمانة و هيلانة ... تحاولان النزول بهدوء من فوق ذلك الحائط بحركة رشيقة أشبه بحركة المصووص الظرفاء نَسْعَم ، إنهمما يقتربان لكن؟! من هذا الذي يرمي على الحصَّرِ منَ الْخَلْفِ؟

الحصى من الخلف؟

- هل أضمروا لي شرًّاً يا ترى؟

- ماذا يريدون؟

- هل سيقتلونني مثل اللجان الشعبية إلى حيث لا أدرى؟

- لكن موقف المعلم لم يكن ضدتهم في الحديث الذي دار منذ قليل!!أم.. أم؟!

- كما أني لم أسخر من بقرة سيدنا الشيخ علي !!

- وكيف أسرخ منها وهى الكرامة الحية التي تناقلها أفالن الناس ، يوم أن قالت قولتها المشهورة: "إما حراثة وإما حليب" حين أتعبها الشيخ علي بالحراثة؟!
 - لكن يا ترى هل يستطيعون أن يعلموا ما دار في خلدي؟ لا أعتقد ذلك. فالله -عز وجل- يقول على لسانهم: ((وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَادًا)؟!)
 - لكن أرى أنهم يريدون بي شرًا... كل الدلائل تشير إلى ذلك؟!
 - لماذا عملت يا ترى؟
 - أكان علي أن أرد على زملائي الذين سخروا من حراس مقام بقرة سيدنا؟!
 - إنهم يقتربون!!
 - يا إلهي !!
- الحركة تزداد من هنا ، وهذا الشيخ قادم إلى من هناك، آه الحصى بدأ يتکاثر على...لقد أصبحت على مقربة من المقام.. علي أن أسرع... علي أن أسرع قبل أن يصيبني مكروه...
- لكن يا ترى هل هؤلاء من الجن المؤمنين أم من الكافرين؟
 - وإن كانوا من المؤمنين ، فلماذا يضمرون لي الشر؟
 - وإن كانوا من الكافرين، فما شأنهم بحراسة المقام؟
 - وكيف يستعين سيدنا الشيخ علي بالجن؟!
 - ألم يسمع قول الله -عز وجل-: ((وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِ فَرَأُوهُمْ رَهْقًا))؟
 - "ومع ازدياد حركته يزداد تطاير الحصى ، وتزداد حركة أخيلة الأشجار ، وتزداد نبضات قلبه خوفاً وهلعاً".
 - يا إلهي !!

- كيف يقول لنا الأستاذ فهمان:أن كل هذه الأشياء خرافات نسجتها العجائز؟!
- إن وجود الجن حقيقة ، كما قال -عز وجل-: ((وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِّنْ نَارٍ)) ، وأنهم يروننا ولا نراهم حقيقة ، كما قال -عز وجل-. أيضاً: ((إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)).
- كما أن كلام المست درية خانم عن جارتها أم الهبرة عن الإسکافي أبي کارم [أن رجلاً سافر إلى أحد الأوبيا هناك ، فوجدوه مسلولاً ، عاجزاً عن النطق من كثرة ما ضربه الجن على رأسه] كلام متصل السند، لا يعتريه شك ، وبالتالي... وبالتالي..
- وبالتالي ، فسأل الله -عز وجل-: أن يحفظني من بطشهم هذه الليلة ، فإنه لا قوة لهم مع الله ولا حيلة ، ألم يقل -عز وجل-. على لسانهم: ((وَأَنَا ظَنَّنَا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا))؟

ولما تجاوز المقام بسلام ، توقف توقف الحذر، يتلفت يمنةً ويسرةً ، بل تسلق أحد الجدران متशجاً من حيث الظاهر ، يكاد ينخلع قلبه هلعاً من الداخل ، راقب المكان بدقة ، فلما لم يعد يرى أو يسمع شيئاً ، تابع مسيره إلى البيت مسرعاً مطمئناً بعض الشيء.

وفجأة ينتصب على يمين الطريق ماردٌ عملاق عجيب مخيف، يرتفع رأسه فوق الأشجار ، انهارت أقدام حمدي ، وانعقد لسانه ، وأيقن بالهلاك ، ووجد نفسه - بشكل لا إرادي- يركض ويركض ، لاهثاً ، مسرعاً، خائفاً مرتعداً . وكان كلما أسرع يزداد عدد الحصى المتطاير ، وتزداد سرعة الأخيلة ، التي تعني هجوم مرجانة وشمھورش وكل حراس المقام.

سقط على الأرض مراراً ، تحامل على نفسه، ولم يشعر بالجروح في ركبتيه ويديه ، أخذ يصيح بشكل عفوي: يا رب... يا رب... سلم.. سلم ، وصل إلى البيت ، تلفت عشرات المرات المتالية ، وراء ، أمام ، يمين ، يسار ، فتح باب البيت أسرع من البصر ، دلف إلى غرفته ، اندس في الفراش ، غطى وجهه باللحف ، أخذ اللحاف يرتفع وينخفض متاجوباً مع حركة الصدر الخائف المضطرب.

وكان كلما هدا روعه ، وأغفى إغفاءة قصيرة ، هبَّ من نومه فرعاً ، مرتعداً ، ينادي هناك.. هناك وأحسست الحاجة زهادية بالموقف دون أن تدري ما السبب ، وبدأت تتبعه بالله من الشيطان الرجيم ، وتقرأ الفاتحة ، والمعوذات ، وأشعلت مبشرتها لتطرد الأرواح الشريرة.

سلامتك يا ابني.. سلامتك يا حبيبي.

وفي الصباح كان على حمدي أن يقطع نفس الطريق ذاهباً إلى مدرسته، ومشي حمدي بخطى خائفة حذرة ، خاصة عندما اقترب من مكان الشبح الذي رأه بالأمس.

- وفجأة؟!! تسمَّر في مكانه. إنه هو ... نعم ... نعم .. إنه هو ، هذا هو رأسه ، فوق تلك الشجرة ، يا إلهي!!!!

- أنا أعلم أن الأشباح لا تظهر في النهار؟

- أنا إذاً مطلوب ، مطلوب من دولة الأشباح ، ليلاً أو نهاراً.

- لكن ماذا عملت؟

- إنه يتحرك ... يتحرك.

وانتبه زميله فائز ، فسأله مستغرباً: ما بك يا حمدي؟!

- لا ترى الشبح؟

- وأي شبح؟

- ذلك المارد على تلك الشجرة.

- ذاك؟

- نعم ذاك.

- ذاك خيال وضعه جدي لإخافة العصافير حتى لا تأكل المشمش ، وليس لإخافة الشبان أمثالك.

- تدخل حمدي في بعضه خجلاً، وابتسم ابتسامة شاحبة اللون، وقال بانكسار: إن جدك على ما يبدو صانع ماهر للتماثيل.

الانطلاقـة الكـبرـى

شعر: محمد ظافـر الشـهـري

كـابـدـ القـيـدـ لـحـمـهـاـ وـالـعـظـامـ وـبـنـوـ قـوـهاـ شـبـاعـ نـيـامـ
هـيـ فـيـ الـأـسـرـ وـالـهـوـانـ حـصـانـ لـمـ يـدـنـسـ جـنـابـهـ الـظـلـامـ
حـملـتـهـ وـقـيـدـهـاـ الـأـقـدـامـ كـلـمـاـ أـصـبـحـ الصـبـاخـ عـلـيـهـاـ
فـلـقـدـ سـادـ لـيـلـهـاـ الـإـعـتـامـ فـتـطـيلـ الـوـقـوفـ تـنـشـدـ نـورـاـ
أـنـهـكـتـهـاـ الـقـرـوـحـ وـالـآـلـامـ إـفـاـذـاـ اـسـتـيـأـسـتـ .. جـثـ، فـقـواـهـاـ
يـشـهـدـونـ الـعـذـابـ وـهـيـ ثـسـامـ وـأـشـدـ الـعـجـابـ أـنـ ذـوـيـهـاـ

وتطيل النداء.. وا.. إسلام
روق أضحى يسوسها الحاخام
كتبتها ... فكلت الأقدام
ناً ، ولكنما الجبان يضام
ساندتها من الصليب سهام
ض ، وان كان دونه الإعدام
ذى فلسطين في القيد تنادي
بعد أن سلمت مقاليدها الفا
فأذيقـت من العذاب صنوفاً
واستماتـ اليهود في ضيمها جب
وإذا قصرـت سهام يهود
أين منها الرجال يعنون بالعر
كم حلمـنا بـردها وبـكينا ثم خـاب البـكاء والأـحلام
لن يـذلـ اليهود رقصـ سعادـ
كيف يرجـى لنـجـدة الـقدس من قد أـثـقلـته الـذـنـوبـ والـآـثـامـ
قد أـضـعـناـكـ يا فـلـسـطـيـنـ لـمـاـ
فـتـنـتـنـاـ الـخـمـورـ وـالـأـنـغـامـ
لا يـفـلـحـ الـحـسـامـ إـلـاـ الـحـسـامـ
وـشـعـارـ الـقـرـوـمـ كـلـ زـمانـ
رـأـ فـمـاـ كـانـ شـأنـهـ الإـجـرامـ
ـمـاـ أـضـاعـ الـأـمـيرـ مـنـ أـرـضـهاـ شـبـ
ـغـيرـ أـنـ الـجـدـودـ كـانـواـ عـمـالـيـ
ـصـيـعـ الـخـلـفـ قـدـسـهـمـ وـنـسـوـهـاـ
ـيـذـكـرـ الـقـدـسـ فـيـ الـمـحـافـلـ يـوـمـ
ـوـكـانـ الـجـهـادـ صـارـ مـبـاحـاـ بـعـضـ يـوـمـ وـمـاـ عـدـاهـ حـرـامـ
ـغـيرـ أـنـ الـجـهـادـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـ
ـمـ أـغـانـ مـثـيـرـةـ وـكـلامـ
ـوـخـلـالـ الـظـلـامـ شـبـ ضـيـاءـ
ـفـتـنـتـكـرـتـ وـعـدـ خـيـرـ رـسـوـلـ
ـفـكـلامـ النـبـيـ لـيـسـ وـرـبـيـ
ـسـنـحـسـ الـيـهـودـ نـحـصـدـهـمـ حـصـ
ـوـتـسـوـدـ الـبـلـادـ رـايـةـ حـقـ رـايـةـ تـنـحـنـيـ لـهـاـ الـأـعـلـامـ
ـفـعـتـادـ الـمـجـاهـدـينـ حـصـةـ
ـصـلـوـاتـ تـحـفـهـ وـسـلـامـ
ـتـعـرـيـهـ الشـكـوكـ وـالـأـوـهـامـ
ـدـأـ وـتـنـهـارـ عـنـدـهـاـ الـأـصـنـامـ
ـوـدـرـوـعـ الـمـجـاهـدـينـ لـثـامـ

@معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين

محمد بن صامل السلمي
مكة المكرمة ٢٧/٢/٤٠٩ هـ

الخلفاء الراشدون هم الأئمة الأربعـةـ ، أبو بـكرـ وـعـثـمـانـ وـعـلـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـيـنـ ، وـهـمـ الـذـيـنـ خـلـفـواـ رـسـوـلـ اللـهـ حـصـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .ـفـيـ قـيـادـةـ الـأـمـةـ ، وـمـدـةـ خـلـافـتـهـمـ مـنـ اـنـتـقالـهـ .ـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ .ـإـلـىـ الرـفـيقـ الـأـعـلـىـ فـيـ ١٢ـ رـبـيعـ الـأـوـلـ سـنـةـ ١١ـ هـ إـلـىـ مـقـتـلـ عـلـيـ بـنـ أـيـ طـلـبـ فـيـ ١٧ـ رـمـضـانـ سـنـةـ ٤٠ـ هـ (١)ـ :ـ تـسـعـ وـعـشـرـونـ سـنـةـ وـسـتـةـ أـشـهـرـ وـخـمـسـةـ أـيـامـ .ـوـإـذـاـ أـضـيـفـتـ لـهـاـ خـلـافـةـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ (ـمـنـ مـقـتـلـ أـبـيـهـ عـنـ تـنـازـلـهـ لـمـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ ٢٥ـ رـبـيعـ الـأـوـلـ سـنـةـ ٤٠ـ هـ)ـ (٢)ـ تـكـوـنـ ثـلـاثـيـنـ سـنـةـ بـالـتـمـامـ ، وـقـدـ اـخـتـصـواـ بـوـصـفـ الـرـاشـدـيـنـ لـصـفـاتـ تـمـيـزـوـاـ بـهـاـ فـيـ سـلـوكـهـمـ الـذـاتـيـ وـفـيـ إـدـارـتـهـمـ لـشـؤـونـ الـأـمـةـ وـرـعـيـتـهـمـ لـدـيـنـهـاـ وـعـقـيـدـتـهـاـ وـحـفـاظـهـمـ عـلـىـ النـهـجـ الـذـيـ

جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم - من الدعوة، والجهاد ، وإقامة العدل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر.

والرشد ضد الغي والهوى وهو الاستقامة الكاملة على المنهاج النبوى ، وقد جاء وصفهم بهذه الصفة في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: "... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور" (٣).

كما جاء وصف خلافتهم في بعض الأحاديث النبوية: أخرج الإمام أحمد في "مسنده" عن حذيفة رضي الله عنه- قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها... " الحديث(٤).

وفي حديث سفينه -رضي الله عنه- تحديد لزمن الخلافة الرشيدة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء"(٥)، قال سفينه: أمست خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- سنتين ، وخلافة عمر -رضي الله عنه- عشر سنين ، وخلافة عثمان -رضي الله عنه- اثني عشر سنة ، وخلافة علي -رضي الله عنه- ست سنين(٦).

وقد تميز عصرهم من بينسائر عصور الدول الإسلامية بجملة من المميزات التي تميزه عن غيره، وصار العصر الرشيد مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً ، تسعى الأمة الإسلامية وكل مصلح إلى محاولة الوصول إلى ذلك المستوى السامي الرفيع ، ويجعله كل داعية نصب عينيه فيحاول في دعوته رفع الأمة إلى مستوى ذلك العصر أو قريباً منه ، ويجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة للأجيال الإسلامية ، ومن ثم صار كل مصلح وكل حاكم عادل وكل إمام مجتهد يقاس بهذا العصر ويوزن بميزانه ، حتى لقب كثير من العلماء الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء الراشدين)(٧) ، ونسبوه إليهم، وذلك لأنه سار بسيرتهم ، وسلك طريقهم ، وأعاد في خلافته رغم قصرها (٩٩-١٠١هـ) معالم نهجهم ، وأحيا طريقهم في الحكم والإدارة وسياسة الرعية . وفي هذه المقالة نتعرف على بعض معالم عصر الخلفاء الرشيدين -رضي الله عنهم-؛ لتكون مثالاً يحتذى وصدىً يهتدى بها في طريق الدعوة إلى الله.

١- توحيد مصدر التلقي:

ومصدر التلقي هو الكتاب والسنة المطهرة، وهذه قضية مهمة جداً، فما وقع التفرق والاختلاف إلا عندما قصرَ المسلمين في فهم الكتاب والسنة وزاحموهما بمصادر ومقررات خارجية من فلسفات الأمم وأهواء النفوس ، والبشرية لا يمكن لها أن تتقارب وتتوحد إلا إذا وحدت مصادر فهمها وتلقّيها ، فإن الناظر في الفلسفات البشرية والمذاهب الفكرية والسياسات العملية يجد بينها بوناً شاسعاً واختلافاً كبيراً يصل إلى التضاد والتناقض ، ولذلك فإنه لا سبيل لوحدتها وإزالة ما بينها من اختلاف وتناقض ، ويبراً من النقص والهوى ويخلص له الجميع سوى وحي الله المنزل في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه من تشرع الله الخالق لكل شيء ، الحكيم الخبير الذي أحاط علمه بكل شيء ، قال تعالى: ((وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)) [مريم: ٤٦] ، وقال تعالى: ((لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)) [البقرة: ٢٥٥] ، وقال: ((وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) [النساء: ٢٦] ، وقال تعالى: ((الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا)) [الفرقان: ٢] ، وقال تعالى: ((وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))

[الأعراف: ٥٢] ، وقال تعالى: ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) [الحجرات: ١٦].

فما كان الخلفاء الراشدون يتلقون أو يأخذون نظمهم ولا سياستهم ولا مناهج علمهم وكافة أمورهم إلا من الكتاب المنزلي من الله والسنن الموحى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم -، ولم يكن الاقتصار منهم على الوحي الرباني عن فقر في العلوم والثقافة في عصرهم ولكنه عن علم وقد واتباع لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم -، قال تعالى: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)) [الجاثية: ١٨].

فكل ما خالف الوحي فهو هوى وجهل وعمى ، وقال تعالى: ((فَاقْمُ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فَطَرَتَ اللَّهُ التَّيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [الروم: ٣٠]. ولقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم - عندما رأى في يد عمر بن الخطاب صحفة من التوراة وقال: "لقد جئتكم بها ببيضاء نقية ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني" (٧) ، وأقوال الخلفاء الراشدين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - وموافقتهم توضح ذلك وتبيّنه.

قال الخليفة الأول صديق هذه الأمة بعد أن بويغ بالخلافة في خطبة عامة: "إنما أنا متابع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعيوني ، وإن زلت فقوموني" (٨).

وقال عمر الخطاب -رضي الله عنه-: "قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - سيدبر أمرنا-أي: يكون آخرنا - ، وإن الله قد أبقى فيكم الذي به هدى رسوله ، فإن انتصتم به هداكم الله لاما كان هداه الله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم (٩) (يعني: أبا بكر).

وقال أيضاً: "إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله" (١٠). فالاعتصام بالكتاب والسنن والتلاقي منهما قضية مسلمة لا تقبل النقاش ، ولقد استمرت الأمة على هذا الفهم قرونًا ، ولكنها أصيّبت في الأعصر المتأخرة بالانحرافات حتى جهلت المسلمات ووجد من أبنائهن من يجادل في هذا ، بل وربما وجد فيمن ينتسبون إلى الدعوة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

٢ - حماية جانب العقيدة:

لقد جاءت الشريعة بسد باب الذرائع المؤدية إلى الشرك ومحاربة البدع والمحاذفات في الدين ، ولهذا لم يكن الخلفاء الراشدون وظيفتهم تقف عند حفظ الأمانة والحكم بين الناس ، بل إنها تتعدى ذلك لتشمل كافة مصالح الأمة الدنيوية والأخروية ، ومن ثم قاموا على نشر العقيدة الصحيحة وسدوا كافة المنافذ المؤدية إلى الابتداع في الدين أو النقص منه أو الانحراف في فهمه ، وقاوموا كل مبتدع أو مشكك في الدين ، وطبقوا قوله صلى الله عليه وسلم -: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (١١).

والواقع التاريخية والموافق المنقوله عنهم في هذا المعنى ، كثيرة نذكر نماذج منها:

- موقف الصديق -رضي الله عنه- في الردة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم - ، فقد واجه المرتدین بكل قوة وصلابة وحزم وشجاعة ، ورفض مهادنة مانعي الزكاة رغم قلة الجنود الإسلامي ومشورة كثير من الصحابة له بذلك منهم عمر بن الخطاب ، فقال -رضي الله عنه- قوله الشهير: "والله لا يقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه" (١٢).

وقال لعمر بن الخطاب: "أجبار في الجاهلية ، خوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أو ينقص وأنا حي؟" (١٣) .. فهو يعلم رضي الله عنه أن واجب الخليفة حراسة الدين من الزيادة والنقصان ، لذلك قال مستفهماً هذا الاستفهام: "أو ينقص وأنا حي؟" أي: إن ذلك غير ممكن ولا أقبل به أبداً مادمت حياً، ولذلك قال أيضاً: "والله لا قاتلهم ما استمسك السيف في يدي ، ولو لم يبق في القرى غيري" (١٤).

- مواقف عمر بن الخطاب كثيرة: فقد كان رضي الله عنه شديداً على أهل الأهواء والبدع ، فقد ضرب صبيح بن عسل التميمي بجريدة النخل وعراجينه عندما أخذ يثير بعض الأسئلة المشككة ، حتى قال له: والله لقد ذهب ما أجد يا أمير المؤمنين ، ثم بعث به إلى والي البصرة أبي موسى الأشعري وأمره بمنعه من مخالطة الناس ، فاحتج حتى تاب واستقام أمره وأقلع عن بدعته (١٥) وقولته -رضي الله عنه- عند تقبيله الحجر الأسود: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقبلك ما قبلتك" (١٦) ... دليل واضح على المتابعة الدقيقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم- وإبعاد لأي اعتقاد ينشأ عند بعض الناس بأن الحجر ينفع أو يضر بذاته.

وكذلك قطعه للشجرة التي بايع تحتها رسول صلى الله عليه وسلم- أهل الحديبية بيعة الرضوان ، عندما بلغه أن بعض الناس يقصدها بعبادة كالصلاحة عندها أو الدعاء والتبرك بها (١٧) .

- موقف عثمان -رضي الله عنه- في سد باب الفتنة والاختلاف في القرآن الكريم: حيث سارع -عندما قدم عليه حذيفة بن اليمان من أرمينية وأخبره بما رأى من الاختلاف في قراءة القرآن- إلى الأمر بكتابة مصحف واحد من عدة نسخ ، وبعث إلى كل قطر وناحية نسخة ، وأمر بإحراق بقية النسخ والمصحف الموجودة عند الناس ، فجمع الناس على مصحف واحد ، وقطع الله بعمله هذا دابر الفتنة، وحقق الله على يديه صيانة كتابه وحفظه من الزيادة والنقصان (١٨) .

- قتال علي -رضي الله عنه- للخوارج وللشيعة الذين غلوا فيه حتى ألهوه -رضي الله عنه- فنصرهم عن ذلك ، ثم لما لم ينتهوا أمر بإحراقهم بالنار ، وقال: "لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجرت ناراً ودعوت قنبراً" (١٩) .

يتبع-

الهوامش:

١- تاريخ الطبرى ٢١٧/٣ ، ١٤٣/٥ ، ويذكر قوله للمدائنى في تاريخ قتل علي مقارب لهذا.

٢- تاريخ الطبرى ١٦٣/٥ ويذكر ذلك عن بن شبة عن المدائنى قال: سلم الحسن بن علي الكوفة إلى معاوية، ودخلها معاوية لخمس بقين من ربى الأول، ويقال: من جماد الأول.

٣- رواه أبو داود ٢٠١/٤ ، والترمذى ٤/٤. وقال: حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ١٢٦،/٤

٤- المسند ٢٧٣/٤ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٩/٥: رواه أحمد والبزار ورجاله ثقات. وقد حسنـهـ الشـيخـ الـأـلبـانـيـ كـمـاـ فـيـ سـلـسـلـةـ الـأـحـادـيـثـ الصـحـيـحـةـ حـدـيـثـ رقمـ ٥ـ

٥- أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة وهذا لفظه. والترمذى في باب ١٦

٦- انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (باب في أنه من الخلفاء الراشدين المهدىين) ، والنوى تهذيب الأسماء واللغات ١٧/٢ ، والذهبى سير أعلام النبلاء ١٢٠،/٥

- ٧- رواه أحمد ٣٨٧ / ٣ ، من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله. وقال الحافظ في الفتح ١٣ / ٢٣٤: رواه ابن أبي شيبة والبزار ، وسكت عنه. وقد صرخ في "مقدمة الفتح" أن ما يسكت عنه هو حسن عنده. ويشهد لمعناه ما رواه البخاري في صحيحه ١٣ / ٣٣٣ - الفتح- عن ابن عباس قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي انزل على رسول الله أحدث تقرؤونه محضًا لم يشب؟!.
- ٨- تاريخ الطبرى ٢٢٤، / ٣
- ٩- البداية والنهاية ٦ / ٣٠١ وقال: إسناده صحيح.
- ١٠- رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٦٢ وقال: صحيح على شرطهما. وسكت عنه الذهبي. وقال الألباني: صحيح.
- ١١- رواه مسلم ١٣٤٤ / ٣ حديث رقم ١٧١٨ ، ط فؤاد عبد الباقي.
- ١٢- رواه مسلم في صحيحه ١ / ٢٠٦ بشرح النووي.
- ١٣- قال في الرياض النizza في مناقب العشرة ، ، ٢٤٧: خرجه النساي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين.
- ١٤- البداية والنهاية ٦ / ٣٠٤ ،
- ١٥- سنن الدرامي ١ / ٥٤ ، ٥٥ ، ومسند أحمد.
- ١٦- رواه الجماعة. انظر المتنقى من صحيح الأخبار ، حديث رقم (٢٥٣٦).
- ١٧- طبقات ابن سعد ٢ / ١٠٠ ، وأخبار مكة للفاكهي ٧٨، / ٥
- ١٨- انظر صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن.
- ١٩- ابن حزم ، الفصل ٤ / ١٨٦.

عمر المختار في ذكرى استشهاده

حسن علي أحمد

في السادس عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٣١ اعتلى البطل عمر المختار - وقد جاوز السبعين من عمره - أعود المشنقة بعد جهاد طويل دام قرابة الثلاثين عاماً ، حارب فيها الفرنسيين في مملكة كائم و وادي في نيجيريا والسودان ، وعمل على نشر الإسلام في تلك البلاد ما شاء الله له ، ثم عاد ليحارب الإنجليز في مصر ، وليقضي بقية عمره بعد ذلك في قتال الإيطاليين الذين جاءوا مستكرين محتلين لبلاده ومغتصبين لأرضه، وكانت له وقائع مشهودة وموافق محمودة ، وأبلى في الجهاد بمن معه من المؤمنين الصادقين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله الله -جل وعلا-.

قالت عنه صحيفة التايمز البريطانية في مقال نشرته في اليوم التالي لإعدامه تحت عنوان "نصر إيطالي": "حقق الإيطاليون انتصاراً خطيراً ونجاحاً حاسماً في حملتهم على المتمردين السنوسيين في برقة ، فقد أسرموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري..." ، ثم تستمر الصحيفة حتى تقول: "ومن المحتمل جداً أن مصيره سيشل مقاومة بقية الثوار ، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من إيطاليا ، وأنفق كل ما عنده في سبيل الجهاد وعاش على ما كان يقدمه له أتباعه ، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق ، كان محل إعجاب لحماسه وإخلاصه الديني ، كما كان مرموقاً لشجاعته وإقدامه".

ونحن نقول:

وملحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

لقد كانت حياة المختار مكرسة كلها للعلم والدعوة والجهاد؛ طلب العلم في الزوايا التي أنسأتها الحركة السنوسية ، ثم كان أحد روادها في الدعوة وتربية الناس ، حتى نادى منادي الجهاد فقضى بقية عمره معتلياً صهوة جواده ، ممسكاً بسلاحه ، لم يهادن أبداً ، ولم يستسلم لعدوه ، بل قارعه مقارعة الند للند ، رغم قلة الإمكانيات ورغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، ولكنه استعلاء الإيمان وقوة اليقين ، الذي ازداد صلابة وعمقاً في ميادين الجهاد وساحات المعارك ، إن جهاد المختار سيظل معلماً بارزاً في تاريخ ليبيا وتاريخ الأمة الإسلامية كلها وسيظل دليلاً على أن الإسلام صنع - ولا يزال- نماذج عظيمة من البطولات على مر العصور ، وعلى أن العطاء الحقيقي إنما هو عطاء الإيمان.

وفاءً ببعض حق المختار علينا: نقف معه هذه الوقفة القصيرة ، نستذكر فيها أحد الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وثبتوا على الحق الذي آمنوا له ، نستعرض فيها شيئاً من حياته ، والعوامل التي جعلت منه بطلاً شجاعاً غير هياب ولا وجّل ، جاهد -رحمه الله- إعلاً للحق وأهله وإزراء للباطل وأتباعه ، حياة هذا المجاهد تستحق الدراسة والاعتبار ، فدروس التاريخ هي أبلغ الدروس ، والجيل الذي لا يتعلم من تلك الدروس ولا يستفيد من سبقوه لا يمكن له أن يقود حركة التاريخ قيادة صحيحة ، ولا أن يحقق أهدافه المنشودة.

ولد البطل عمر المختار بن عمر المنفي في منطقة البطنان من برقة عام (١٢٧٧هـ ٨٥٨م) ويرجع نسبه إلى بيت فرحان من قبيلة المنفة. وكانت نشأته في بيت عز وكرم ، تحيط به شهامة العرب وحرية البدية ، طلب العلم في زاوية جنзор ، ثم انتقل إلى زاوية الغبوب التي كانت مركز قيادة الحركة السنوسية آنذاك ، حيث أتيحت له الفرصة أن يتلقى العلم على يدي بعض المشايخ الذين كان لهم دور رئيسي في نشر الدعوة الإسلامية ، أمثال: السيد الزروالي المغربي الجوانى ، والعلامة فالح بن محمد بن عبد الله الظاهري المدنى ، وقد ظهرت عليه علامات النباهة ورجاحة العقل منذ الصغر ، وظل محل إعجاب وثناء كل من عرفه ، حتى لقي ربه -عز وجل- مقبلاً غير مدبر ، فكان ذلك أكبر دليل على صدقه في التعامل مع الناس وفي إقباله على الله.

وبعد فترة قصيرة عينه السيد المهدى السنوسى شيخاً على زاوية القصور في الجبل الأخضر فقام بأعباء المهمة خير قيام ، من تعليم الناس أمور دينهم إلى فض المنازعات بين القبائل والسعى في مصالحهم وجمع كلمتهم ، وسار في الناس سيرة غبطه عليها العقلاء وزادت من مهابته عند غيرهم، ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن اختياره للقيام على أمور هذه الزاوية كان مقصوداً من قبل المهدى السنوسى ، حيث إن هذه الزاوية كانت في أرض قبيلة العبيد التي عرفت بشدة الشكيمة وصعوبة المراس ، فوفقاً لله في سياسة هذه القبيلة ، ونجح في ترويضها بما أوduct فيه من صفات القيادة والحكمة.

ثم كلف بأمر الجهاد في وادي ، فقارب الاستعمار الفرنسي الذي كان قد بدأ زحفه إلى وسط أفريقيا، فبذل الوسع حتى لفت الأنظار عزمه وحزمه وفراسته ، قال عنه المهدى السنوسى: "لو كانت لدينا عشرة مثل المختار لاكتفينا" وبقي في وادي يعمل على نشر الإسلام ودعوة الناس وتربيتهم إلى جانب قتال الفرنسيين وحماية بلاد المسلمين ، وكانت المناطق التي يتولى المختار قيادتها وحراستها أمنع من جبهة الأسد ، ولا يخفى ما في ذلك من إدراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه ووطنه. وفي عام ١٩٠٦م: رجع إلى الجبل الأخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور ، ولكن ذلك لم يكن يستمر طويلاً ، فقد كانت المعارك قد بدأت بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردي

ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية ، ولقد شهد عام ١٩٠٨ أشد المعارك ضراوة والتي انتهت بضم منطقة السلوم إلى الأراضي المصرية تحت ضغوط بريطانيا على الدولة العثمانية ، وعاد الشيخ إلى زاوية القصور يدير شؤونها مرة أخرى ، حتى امتدت يد الفاشست الآثمة إلى التراب الليبي ، وهب المختار كعادته ليكون في طليعة من لبى نداء الجهاد، وهب ليفود حركة وقفت في مواجهة الغزاة عشرين عاماً ، سطّر فيها المختار ومن معه من المجاهدين الأبطال ملاحم أسطورية تحدث عن عظمها وقوتها الأعداء قبل الأصدقاء ؛ ولقد ذكر الجنرال رودلفو جراستيانى في كتابه الذي سماه "برقة الهدأة" - يقصد أنها هادئة بعد إعدام المختار والقضاء على حركة الجهاد فيها: إنه نشب بينه وبين المختار ٢٦٣ معركة ومواجهة في مدة عشرين شهراً فقط ، فأعظم به من بطل ، وأكرم به من شهيد.

وفي عام ١٩٢٣: أُسندت إليه النيابة العامة للحركة السنوسية وقيادة الجهاد في برقة ، وعلى الرغم من الشدائـن التي عاشتها البلاد قاطبة نتيجة لانتشار الطاعون والأوبئة ، وتمكن الإيطاليين من السيطرة على المناطق الغربية من ليبيا ، وانقطاع الإمدادات على قلتها والتي كانت تأتي من مصر عن طريق زاوية الجبوب. وعلى الرغم من أن مناطق المعارك لم تزد مساحتها على بعض عشرات من الأميال ، ومن أن المختار جاوز السنتين من عمره ، على الرغم من هذا كله: كان على إيطاليا وجنرالاتها أن تخوض حرباً لا هواة فيها لمدة ثمانية أعوام أخرى كانت أصعب وأطول زمني للحرب كلها ، ولقد جردت إيطاليا كل ما لديها.. آلاف الجنود والمدافع والدبابات والطائرات والضباط والقادة الذين تخرجوا من الكليات العسكرية المتقدمة والتي كانت مصدراً يفخر به الغرب على المسلمين ، لكن الذي لم يدركه الإيطاليون وأدركه المختار: أن المقايس في مثل هذه الأحوال لا تخضع دائمًا للتقديرات المادية ، فقوة الإيمان وعزائم الرجال وتجردهم في سبيل الله يرجع الموازين ويذري الظالمين. ونستمع إلى كلمات المختار من وراء السنين ، تجلو الهمة والعزم والإصرار التي يتميز بها عندما دعى إلى التفاوض مع إيطاليا: "إنا حاربناكم ثمانية عشرة سنة، ولا نزال بعون الله نحاربكم، ولن تتلوا منا بالتهديد" إلى أن يقول: "لن أبرح الجبل الأخضر مدة حياتي ولن يستريح الطليان فيه حتى توارى لحيتي في التراب".

إن أمة مثل هذه لا سبيل لقهرها إلا بالقضاء عليها ، وما أحوج المسلمين اليوم لأن يدركون مثل هذه العبرة ، وأن يتعمدوا مثل هذا الدرس.

ولم يبق أمام إيطاليا إلا خيار واحد، وهو: أن تقطع عن المجاهدين كل إمكانية للإمداد، فجمعوا كل الليبيين في برقة في معسكرات اعتقال جماعية مع ماشيـتهم وأغنامـهم، وأحرقوا بعد ذلك الأخضر والبياض، ومدوا الأسلام الشائكة على طول الحدود الليبية المصرية، لكن ذلك لم يكن ليـفت في عـضـ المجاهـدينـ الذينـ وطنـواـ أنفسـهمـ علىـ إحدـىـ الحـسينـينـ ، فاستمرـواـ فيـ قـتـالـهمـ شـهـورـ عـدـيدـةـ، حتىـ كانـ يومـ الجمعةـ ٢٨ـ رـبيعـ الثـانـيـ ١٣٥١ـ هـ (١١ـ سـبـتمـبرـ ١٩٣١ـ مـ)؛ إذ فاجأـتهمـ كـتـيبةـ منـ الجـيشـ الإـيطـاليـ فيـ جـنـوبـ قـرـيـةـ سـلـنـطـةـ ، وـدارـتـ بيـنـ الـطـرـفـينـ مـعـرـكـةـ سـقطـ فـيـهاـ أـكـثـرـ الـمـجـاهـدـينـ وـقـتـلـ جـوـادـ المـخـتـارـ فوقـ بـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ جـرـيـحاـ ، وـقـاتـلـ حـتـىـ نـفـذـتـ ذـخـيرـتـهـ ، فـأـسـرـهـ بـعـضـ الـجـنـودـ الـذـينـ تـعـرـفـوـاـ عـلـيـهـ ، وـكـانـ ذـلـكـ إـيـذـانـاـ بـاـنـتـهـاءـ الـجـهـادـ وـالـمـقاـوـمـةـ حـتـىـ يـقـضـيـ اللـهـ أـمـرـاـ كـانـ مـفـعـولاـ.

وفي يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى ١٣٥١هـ (٦ سبتمبر ١٩٣١م) وفي مدينة سلوق: جئـ بالـمعـتـقلـينـ وـبـجـمـعـ غـيـرـ مـنـ النـاسـ لـيـشـهـدـواـ إـلـيـادـمـ، وـوـضـعـ الـجـلـادـ الـحـبـلـ حـوـلـ عـنـقـهـ وـصـعـدـتـ رـوـحـهـ الطـيـبـةـ تـشـكـوـ إـلـىـ ربـهاـ عـنـتـ الطـوـاغـيـتـ وـظـلـمـ الـظـالـمـينـ.ـ أـسـكـنـهـ اللـهـ فـسـيـحـ جـنـاتـهـ ، وـجـزـاهـ اللـهـ عـنـ إـلـاسـلـامـ خـيـرـ الـجـزـاءـ.

لقد كان جهاد المختار ورفاقه ضد الإيطاليين درساً من الدروس العظيمة لرفض الظلم والاستعباد والمضي في ثبات على طريق الجهاد مهما كانت الظروف والإمكانات ، ولعل من المفيد هنا أن نعرض بإيجاز بعضًا من السمات والخصال التي كونت شخصية عمر المختار، فتوحدت خلفه صفوف الليبيين وأصبح علمًا على جهادهم، وانتشرت أخبار بطولاته فأيقظت الرأي العام الإسلامي والعالمي ، فصارت الصحافة تعنى عنابة جادة بمصير ليبيا، وكانت قد تناقص اهتمامها بعد انسحاب الأتراك من الحرب عام ١٩١٢م:

إن أوضح سمات المختار ولاشك - هي: قوة إيمانه بالله ، وصدق توكله عليه ، كما كان ظاهراً في كل أقواله وأفعاله ، كما أن ذلك أيضاً هو مصدر كل صفاتـه الحميدة الأخرى من الشجاعة والثبات والمرءة ، وكيف لا وهو الذي تربى وقضى عمره في حركة إسلامية كان لها الدور الرئيسي في بعث الإيمان في تلك البلاد ، وإحياء ما اندرس من معالم الدين والدعوة إليه وتربيـة الناس على ذلك (١)، لقد نشأ المختار في بيـة أكـسبـته الفـقه في الدين ، وعلـمـته الدـعـوة إـلـيـه ، وأعـظمـتـ فيـ عـيـنه فـضـيلـةـ الجـهـاد ، وـلاـ أـدـلـ عـلـىـ ذـلـكـ مـنـ أـنـهـ قـضـىـ عمرـهـ يـجـاهـدـ أـعـدـاءـ إـسـلـامـ ، وـيـصـارـعـ أـعـظـمـهـ جـبـرـوتـاـ وـكـبـرـاـ عـلـىـ أـرـضـ لـبـيـاـ وـخـارـجـهاـ ، وـلـاـ شـيـءـ يـصـقـلـ إـيمـانـ الـمـسـلـمـ وـيـزـيدـ مـنـ توـكـلـهـ عـلـىـ رـبـهـ كـسـاحـاتـ الـمـعـارـكـ وـمـقـارـعـةـ الـبـاطـلـ وـالـظـالـمـينـ.

ومع هذا الإيمان الراسخ كان عمر المختار واسع الأفق عالماً بواقعه ، مدركاً لما يجري حوله متابعاً له ، وقد كان ذلك أكبر عنون له على صحة مواقفه وقوتها التي فرضت الاحترام من أعدائه قبل أصدقائه ، وما أعظم أن يجتمع الإيمان والفقه بالواقع ، وما أقبح أن يتفرقـاـ . ولئن كان هذا واضحاً جلياً في كل مواقـفـ المـختارـ وـأـرـائـهـ ، إـلـاـ أـنـهـ يـتـجـلـيـ كـأـوـضـحـ مـاـ يـكـونـ فـيـ إـدـرـاكـهـ لـعـدـمـ جـدـوىـ المـفـاوـضـاتـ السـيـاسـيـةـ وـالـمـهـادـنـاتـ مـعـ الـحـكـوـمـةـ إـلـيـطـالـيـةـ التـيـ وـقـعـ فـيـهـاـ - لـلـأـسـفـ - كـثـيرـ مـنـ قـادـةـ الـجـهـادـ الـلـبـيـيـ ، فـكـانـتـ نـتـائـجـهـ سـلـبـيـةـ سـيـئـةـ ، وـكـذـلـكـ فـيـ اـعـتـمـادـهـ عـلـىـ إـلـمـكـانـيـاتـ الـمـتـوـفـرـةـ لـدـيـهـ ، وـعـدـمـ التـجـائـهـ إـلـىـ الشـرـقـ أـوـ الـغـرـبـ طـلـبـاـ لـلـعـونـ السـيـاسـيـ أـوـ المـادـيـ:

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار - شخصيته القيادية وقدرتـه على تأليف قلوبـ منـ حولـهـ وـتـوجـيهـهـ ، كما أثبتـ ذلكـ فيـ إـدـارـتـهـ لـشـؤـونـ زـاوـيـةـ القـصـورـ وـفـيـ نـجـاجـهـ فـيـ قـيـادـةـ الـجـهـادـ بـمـرـاحـلـهـ وـمـتـطلـبـاتـهـ الـمـخـلـفـةـ: منـ التـخـطـيـطـ لـلـمـعـارـكـ وـقـيـادـتـهـ ، إـلـىـ مـتـابـعـةـ أـصـدـاءـ الـجـهـادـ فـيـ الدـاخـلـ وـالـخـارـجـ وـالـتـفـاعـلـ معـهـاـ .

وننقلـ هناـ ماـ جـاءـ فـيـ رسـالـةـ بـعـثـاـ لـلـأـمـيرـ شـكـيبـ أـرـسـلـانـ الـذـيـ بـذـلـ جـهـداـ إـعلامـياـ كـبـيراـ فـيـ الدـافـاعـ عـنـ الـجـهـادـ الـلـبـيـيـ وـتـوـضـيـحـهـ لـلـعـالـمـ ، يـقـولـ فـيـهـاـ: "إـنـهـ مـنـ خـادـمـ الـمـسـلـمـيـنـ عمرـ الـمـختارـ إـلـىـ الـأـمـيرـ أـخـيـنـاـ فـيـ اللـهـ الـأـمـيرـ شـكـيبـ أـرـسـلـانـ حـفـظـهـ اللـهـ": قدـ قـرـأـنـاـ مـاـ دـبـجـهـ يـرـاعـكـمـ السـيـالـ عـنـ فـضـائـ الـطـلـيـانـ وـمـاـ اـقـرـفـتـهـ الـأـيـديـ الـأـثـيـمـةـ مـنـ الـظـلـمـ وـالـعـدـوـانـ بـهـذـهـ الـدـيـارـ ، فـإـنـيـ وـعـمـومـ إـخـوـانـيـ الـمـجـاهـدـينـ نـقـدـ لـمـقـامـكـ السـامـيـ خـالـصـ الشـكـرـ وـعـظـيمـ الـمـمـنـونـيـةـ.

كلـ ماـ ذـكـرـتـمـوهـ مـاـ اـقـرـفـتـهـ أـيـديـ إـلـيـطـالـيـنـ هـوـ قـلـيلـ مـنـ كـثـيرـ ، وـقـدـ اـقـتصـدـتـمـ وـأـحـفـظـتـمـ كـثـيرـاـ، وـلـوـ يـذـكـرـ للـعـالـمـ كـلـ مـاـ يـقـعـ مـنـ إـلـيـطـالـيـنـ! لـاـ تـوـجـدـ أـذـنـ تـصـغـيـ لـمـاـ يـرـوـىـ مـنـ اـسـتـحـالـةـ وـقـوعـهـ ، وـالـحـقـيـقـةـ - وـالـلـهـ وـمـلـائـكـتـهـ شـهـودـ - أـنـهـ صـحـيـحـ ، وـإـنـاـ فـيـ الدـافـاعـ عـنـ دـيـنـاـ وـوـطـنـاـ صـامـدـونـ ، وـعـلـىـ اللـهـ فـيـ نـصـرـنـاـ مـتـوـكـلـونـ ، وـقـدـ قـالـ تـعـالـىـ: ((وـكـانـ حـقـاـ عـلـيـنـاـ نـصـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ)) ، وـالـسـلـامـ عـلـيـكـمـ وـرـحـمـةـ اللـهـ وـبـرـكـاتـهـ، فـيـ ٢٠ـ ذـيـ الـحـجـةـ سـنـةـ ١٣٤٩ـ هـ" (٢)

- العقلية العسكرية الفذة التي اكتسبـهاـ منـ خـالـلـ حـيـاتـهـ فـيـ الزـوـاـيـاـ التـابـعـةـ لـلـحـرـكـةـ السـنـوـسـيـةـ ، حيثـ كانـ التـدـريـبـ عـلـىـ أـعـمـالـ الـجـهـادـ جـزـءـاـ أـسـاسـيـاـ مـنـ بـرـنـامـجـ الـحـيـاةـ فـيـهاـ.

يقول الأمير شبيب أرسلان يصف ذلك ، وكان قد زار ليبيا والتقي بمجاهديها: "حدثي السيد أحمد الشريفي: أن عمه المهدي كان عنده خمسون بندقية خاصة به، وكان يتعهد بها بالمسح والتنظيف بيده ، لا يرضى أن يمسحها أحد من أتباعه قصداً وعمداً ليقتدي به الناس ويحتقلوا بأمر الجهاد وعدته وعتاده ، وكان نهار الجمعة يوماً خاصاً بالتمريرات الحربية من طراد ورمادية وما أشبه ذلك. فكان السيد يجلس في مركبٍ عالٍ، والفرسان تنقسم صفين، ويببدأ الطراد فلا ينتهي إلا في آخر النهار" (٣) ، هذا بالإضافة إلى الخبرة الطويلة التي اكتسبها من ميدان المعركة، وذلك بشهادة القادة من أعدائه كما يذكر جراتسياني عنه: أنه ترك المواجهة في الصحراء واتخذ من الجبال مقراً له ، فكان ذلك من أكبر العوائق أمام الإيطاليين في صراعهم مع المجاهدين.

- وفي هذا كله كانت أقواله تصدقها الفعال، بل إن الصدق كان من أبرز سماته على الإطلاق، الصدق مع الله.. الصدق مع النفس، ومع الآخرين حتى إن كانوا ألد الأعداء.. حتى أمم المحكمة التي حكمت عليه بالإعدام...

- هل أنت قائد الثوار ضد الحكومة الإيطالية؟.

- هل حاربت الدولة وحرضت الناس على ذلك؟.

- هل أشرت السلاح في وجه القوات الإيطالية واشتركت في القتال فعلياً؟.

- هل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالي؟.

- هل أمرت بقتل الطيارين الذين وقعوا في الأسر؟.

أجاب عن كل هذا بـ: "نعم" ، باستثناء حادثة الطيارين الذين نفي علمه بمقتلهم - رحمه الله رحمة واسعة- إن شعباً أنجب المختار وأمثاله من المجاهدين لن يعمم أبداً.

إن من أكبر الدروس التي تتعلمها من حياة هذا المجاهد البطل هو: أن الجهاد من أجل حماية العقيدة ونشرها وإقامتها في واقع الحياة ، وبذل المهج والأرواح في سبيل ذلك هو من أسمى غايات المسلم ، وأن القيادة الشرعية إنما هي في حقيقتها قيادة جهادية تعمل على ذلك وعلى تخليص المسلمين من الظلم والإذلال ، كما تعمل على نشر العلم وبيانه ، وأنه لتحقيق ذلك لابد من وجود الصلة القوية بين العالم أو الداعية والمجتمع عن طريق العلاقة الوثيقة بالناس وبواقعهم وما يعانونه من مشكلات.

الهوامش:

١- لابد من الإشارة هنا وقد بينا محسن الحركة السنوسية ودورها في قيادة الجهاد ضد الإيطاليين أننا لا نوفق على كل منهاجاً وخاصيةً في الجانب التربوي الذي اعتمد أساليب الصوفية ، وكان فيه بعض الغلو ، ولكن كان ذلك قد ازداد واستفحلاً عند المتأخرین منهم وبعد وفاة أحمد الشريفي، إلا أن جذوره كانت ولا شك في أصل منهجهم. والحركة السنوسية لم تعط بعد حقها من الدراسة والبحث.

٢- كتاب قصة الأدب العربي في ليبيا ، ص ١٤١ ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الخراز ١٩٦٥

م.

٣- كتاب الأمير شبيب أرسلان، القضية الليبية/١٢، محمد رجب الزائدي، مكتبة الخراز ١٩٦٤ م.

هذا أول عدد من أعداد مجلتنا "البيان" يصدر بعد الأحداث الدامية التي شهدتها الجزائر في ١٩٨٨/١٠/٨ ، وما كنا لندع هذا الحدث الأليم يمر دون أن نقول رأينا فيه ، لأن الشعب الجزائري المؤمن عزيز علينا ، ما يؤلمه يؤلمنا وما يسره يسرنا ، ولن ينسى المسلمين في كل مكان جزائر المليون شهيد الذين بذلوا الغالي والنفيس من أجل أن يعود بلدتهم إسلامياً عربياً لا أثر فيه للصليبية ولا للกفر والإلحاد.

وقد حاول العلمانيون بعد الاستقلال نشر الشيوعية والإلحاد ، ولكن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر ، وبقيت كتاب ابن باديس والإبراهيمي والتبسي ترفع راية: "لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ" خفاقة عالية، يرفعونها في المساجد والجامعات والمدن والأرياف والثكنات وفي كل مكان.

إذن: ليس غريباً أن نعيش مع إخواننا في محتفهم... بل كنا نراقب فساد نظام الحزب الواحد، وما يجره على الجزائر من دمار وويلات ، ولسنا وحدنا الذين نقول هذا القول ، لقد قاله المسؤول الأول في الجزائر -رئيس الجمهورية- ، ففي ١٩ سبتمبر الماضي ألقى خطاباً أمام أعضاء لجان التنسيق في الولايات تحدث فيه عن المشكلات الاقتصادية المستعصية ، وقال بالحرف الواحد: "إن هناك بعض العناصر في النظام تثار حولها الشبهات ، ولن نقبل أبداً بأن يستمر هؤلاء الأفراد في السلطة ... وقال بأن بعض هؤلاء المسؤولين في القمة ويعملون داخل مؤسسات تابعة للحزب وللحكومة وفي أجهزة أخرى ، وهاجم المؤسسات الاقتصادية الوطنية لأنها لا تؤدي دورها المطلوب".

ولم تكن هذه الفضائح سراً من الأسرار ، لقد كان يتحدث عنها المواطن العادي ، وتنشرها الصحف داخل الجزائر وخارجها ، ومن الأمثلة على ذلك: قضية اختلاس البنك المركزي ، ولم يكن المختلسون نكرات في السلطة...

ومما ينبغي أن يعرفه كل عاقل منصف: أن المسؤول الذي لا يعمل في سبيل الله ، ولا يعرف الخوف من الله طريقاً إلى قلبه، سوف يسرق ويظلم ويفسد ، وينهب ويدمّر البلاد والعباد.. وهو يزعم أنه مصلح وعادل وزاهر وفقيه لا يملك من حطام الدنيا شيئاً... والجزائريون وغيرهم يعرفون أمثلة كثيرة تؤكد صحة ما نقول.

ونتيجة لذلك: فقد سبقت الأحداث أزمة اقتصادية خانقة ، فكثير من المواد الضرورية: كالزيت ، والدقيق ، والخضروات ، واللحوم اختفت من الأسواق ، وكثير العاطلون عن العمل الذين يقرعون أبواب الوزارات والمؤسسات بحثاً عن وظيفة ولا يجدون من يجيبهم ويسد حاجتهم ، ونسبة البطالة ١٧% من السكان القادرين على العمل.

والأدھى من ذلك والأمر قضية السكن: فالجزائر ثاني دولة إفريقية من حيث المساحة ، ومع ذلك في فيها أزمة سكن، مع أن مساحتها تتسع لخمسة أمثال عدد سكانها ، والمشكلة كل المشكلة في الإجراءات الاشتراكية التي فرضها "بومدين" ، وسلفه "بن بلا" ولا يزال النظام غير قادر على التخلص منها... فالذين وجدوا سكناً يعيشون في غرف لا يحسدون عليها ، فالأسرة التي يبلغ عدد أفرادها عشرة يعيشون في حجرتين صغيرتين... وبكل أسف هناك الكثير الكثير من يتمنى مثل هذا السكن.

وهذه المأساة لا تبرر المذبحة التي وقعت بين المتظاهرين والجيش ، فمن حق المواطنين أن يطالبوا بحقوقهم ، ويعبروا عن مشاعرهم ، وينددوا بالظلم والظالمين.. ولكن ليس من حقهم أن يعتدوا على المؤسسات والمرافق العامة ، ويلحقوا بها أضراراً فادحة ، وقد بلغت كمية الخسائر ١٧٠ مليون

دولار... والذين أتلفوا هذه الأمور لا يدركون أبعاد القاعدة الإسلامية التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار".

ومن حق رجال الأمن والجيش أن يحافظوا على الأمان ،ولكن ليس من حقهم حصد أرواح المتظاهرين ، وقد بلغ عدد القتلى عدة مئات ، ومن بين القتلى أطفال ونساء كانوا في شرفات منازلهم... فالجيش من الشعب، ووظيفته أن يقاتل أعداء المسلمين ، وليس وظيفته مقاتلة الشعب... وكم نتمنى أن يتحقق الوعي عند الجندي المسلم بحيث لو أصدر قائده الأمر إليه ليطلق النار على رواد المساجد أو الأبرياء من المواطنين لرفض ذلك وقال: "لا طاعة لمخالق في معصية الخالق" لن أقتل أخي المسلم ، فاقتلوني إن شئتم ، لن أقتله... لو تحقق هذا الوعي لما كنا في مثل هذا الذل والهوان ، ولما كانت الفجوة واسعة جداً بين الحاكم والمحكوم ، ولما نظر المواطن إلى العسكري نظرة يشوبها الحقد والكرابية أو الحذر والخوف.

والذين كانوا يتبعون الأحداث يعلمون أن وكالات الأنباء والصحف العالمية والערבية أجمعـت على شيء واحد... وكان هذا الذي أجمعـت عليه عارياً عن الصحة ملـقاً ليس فيه عـدـلـ ولا حـقـ... أجمعـوا على اتهام "الأصوليين" بالأحداث.

وهم يخترعون أسماء ويلصقونها بالإسلاميين كقولهم "أصولـي.. مـتشـددـ" وما إلى ذلك من أسماء كاذبة . والأنكى من ذلك: أن صحفاً ومجلات عربية تتبع نظاماً عربياً "عـفـلـقـيـاـ" شنت حملة ظالمة على الداعية الشيخ علي بـلـحـاجـ، وزعمـت أنه يتردد على إـيرـانـ، وأن له عـلـاقـاتـ وثـيقـةـ مع السـفـيرـ الإـيرـانـيـ فيـ الجـزـائـرـ... وأنـ إـيرـانـ كانـتـ وراءـ هـذـهـ الأـحـدـاثـ منـ خـلـالـ الشـيـخـ "عليـ بـلـحـاجـ".

يا هؤلاء: أنتـ تـظـنـونـ بـغـيـرـكـ كـمـاـ تـظـنـونـ بـأـنـفـسـكـ ، فأـنـتـ تـتـقـاضـونـ أـمـوـالـ مـنـ النـظـامـ العـفـلـقـيـ ، وـتـتـشـرـوـنـ الـمـعـلـومـاتـ الـتـيـ تـأـمـرـ بـهـاـ أـجـهـزةـ مـخـابـراتـ هـذـهـ النـظـامـ الـذـيـ لـمـ يـتـعـظـ وـلـمـ يـرـعـوـ... وـنـحـنـ عـلـىـ صـفـحـاتـ مـجـلـتـنـاـ نـخـاطـبـ أـسـيـادـكـ فـنـقـولـ لـهـمـ:

الـشـيـخـ عـلـىـ بـلـحـاجـ - وـلـاـ نـزـكـيـ عـلـىـ اللـهـ أـحـدـاـ وـالـحـيـ لـاـ تـؤـمـنـ فـتـنـتـهـ - لـيـسـ نـكـرـةـ ، وـلـسـتـ أـهـلـ لـلـحـدـيـثـ عـنـهـ ... إـنـهـ دـاعـيـةـ مـنـ دـعـاـةـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ عـقـيـدـةـ وـسـلـوكـاـ وـنـظـامـ حـيـاةـ ، وـهـوـ يـعـرـفـ إـيرـانـ الـخـمـيـنـيـ كـغـيـرـهـ مـنـ عـلـمـاءـ أـهـلـ السـنـةـ الـمـتـأـسـيـنـ بـسـلـفـ هـذـهـ الـأـمـةـ مـنـ رـجـالـ خـيـرـ الـقـرـوـنـ ، وـمـنـ كـانـ هـذـاـ مـسـلـكـ وـمـنـهـجـ يـرـفـضـ إـقـامـةـ عـلـاقـةـ مـعـ سـفـيرـ إـيرـانـ ، كـمـاـ يـرـفـضـ زـيـارـةـ إـيرـانـ.

يا هؤلاء: لـيـسـ خـلـافـنـاـ مـعـ إـيرـانـ عـلـىـ أـمـتـارـ أـوـ كـيـلـوـمـتـرـاتـ مـنـ الـأـرـاضـيـ أـوـ المـاءـ ، وـلـاـ نـتـبـعـ نـظـامـاـ مـنـ الـأـنـظـمـةـ فـإـذـاـ سـوـىـ هـذـهـ النـظـامـ خـلـافـاتـهـ مـعـ إـيرـانـ تـبـعـنـاهـ فـيـ السـلـمـ وـالـحـربـ كـمـاـ تـقـعـلـ الصـحـفـ الـمـأـجـوـرـةـ... إـنـ خـلـافـنـاـ مـعـهـمـ عـمـيقـ الـجـنـورـ... وـنـحـنـ الـذـيـنـ نـدـرـسـكـ عـنـ أـخـطـارـ الشـعـوـبـيـنـ وـمـوـقـعـهـمـ الـخـبـيـثـ مـنـ رـسـوـلـ اللـهـ وـأـصـحـابـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ وـسـلـمـ... بـلـ نـتـوـقـعـ أـنـ يـأـتـيـ يـوـمـ تـتـقـفـوـنـ مـعـهـمـ، وـيـجـمـعـ بـيـنـكـمـ وـبـيـنـهـمـ عـدـاوـةـ أـهـلـ السـنـةـ كـمـاـ فـعـلـ وـيـفـعـلـ اـبـنـ حـزـبـكـ الـبـاطـنـيـ !!

ولـذـلـكـ نـقـولـ لـكـمـ بـلـغـةـ جـازـمـةـ: إـنـ الشـيـخـ عـلـىـ بـلـحـاجـ لـمـ يـزـرـ إـيرـانـ ، وـلـيـسـ لـهـ أـيـ عـلـاقـةـ بـسـفـيرـ إـيرـانـ أوـ بـأـحـدـ الزـعـمـاءـ الـجـزـائـرـيـنـ الـمـتـعـاـوـنـيـنـ مـعـ إـيرـانـ.

وـلـيـسـ لـهـ عـلـاقـةـ بـالـأـحـدـاثـ الـدـمـوـيـةـ ، كـانـ يـرـىـ أـنـ يـقـومـ بـمـظـاهـرـةـ سـلـمـيـةـ، غـيـرـ أـنـ حـكـيمـ عـلـمـاءـ الـجـزـائـرـ الشـيـخـ سـحـنـونـ حـفـظـهـ اللـهـ- أـقـنـعـهـ أـنـ لـاـ يـفـعـلـ؛ فـاـسـتـجـابـ لـهـ ، وـمـاـ كـانـ مـوـجـودـاـ فـيـ مـسـجـدـ "بـلـكـورـ"ـ فـيـ يـوـمـ الـمـظـاهـرـةـ ، وـالـإـسـلـامـيـوـنـ لـاـ يـمـلـكـوـنـ سـلـطـةـ لـيـمـنـعـوـنـ الـمـظـاهـرـةـ.

فـهـلـ تـجـدـوـنـ فـيـ أـنـفـسـكـ شـجـاعـةـ لـتـصـحـيـحـ الـخـطاـ الـذـيـ أـخـطـأـتـمـوـهـ؟!

نـجـزـمـ بـأـنـكـمـ لـنـ تـفـعـلـواـ؛ لـأـنـ اـحـتـمـالـ حـسـنـ النـيـةـ غـيـرـ وـارـدـ عـنـكـمـ ، وـلـأـنـ إـحـدـىـ مـجـلـاتـكـ الـمـأـجـوـرـةـ مـخـتـصـةـ بـالـكـذـبـ عـلـىـ الـإـسـلـامـيـيـنـ ، وـقـبـلـ هـجـومـهـاـ عـلـىـ دـعـاـةـ الـإـسـلـامـ فـيـ الـجـزـائـرـ كـانـتـ تـهـاجـمـ

الإسلاميين في بلاد الشام، الذين ظنوا أن في التحالف معكم يحققون خيراً لبلدهم، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

إن خير حلٍ نراه: أن يتفق الإسلاميون على مقاطعة صحفكم وتحذير الأمة من أكاذيبها.

أما حماوا لاتكم لتتأليب النظام الجزائري ضد الإسلاميين، فيكتفينا في الرد عليكم قوله تعالى: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوْهُمْ فَرَأَدُهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)).

يادعة الإسلام في الجزائر: إن الإجماع الإعلامي العالمي الكاذب يعبر عن خوف الدوائر الاستعمارية وعملائها من وعي الإسلاميين ونشاطهم في الجزائر، فكونوا على يقظة وحذر ووحدوا صفوفكم وحذار من الخلاف والفرقة ، أما منهج هذه الوحدة فهو الذي أنزله الله وبلغنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم- إنه منهج أهل السنة والجماعة ، وليس قول هذا ولا شعار ذاك ، واعلموا أن أية وحدة أو تقارب محكوم عليه بالفشل إذا تجاهل دعاتها المنهج.

واستفیدوا يا إخواننا من أخطاء الماضي القريب ، ولتكن معرفتكم بواقعكم المعاصر دقيقة... والدعاة الذين يجهلون السياسة أو الذين يفصلون بين السياسة والمنهج يخسرون خساراناً عظيماً.

وحذار حذار من أهل الغلو؛ فقد كانوا سبباً في كوارث عديدة أربكت العمل الإسلامي وأعاقت تقدمه ، وويل لجماعة يقودها شباب أغرار يجهلون أصول دينهم ، ويجهلون مشكلات عصرهم ، ولا يقبلون النصح ، ولا يتغطون من أخطائهم أو أخطاء غيرهم.

وأخيراً: اعلموا أننا وحدنا - أعني: دعوة الإسلام - الذين نعبر بصدق وأمانة عن آلام هذا الشعب وبؤسه؛ فالأسرة الكبيرة التي تسكن في غرفة أو غرفتين من أسرنا ، والعاطل عن العمل أخونا أو ابننا ، أما غيرنا فيتاجر بالفقراء والعمال من أجل أن يصل ثانية! إلى كرسي الحكم ، وإذا وصل فسوف ينهب ويفسد ويسفر عن وجهه الأول الكالح ، ويتنكر لكلماته الطيبة التي كان يقولها عن الإسلام أحياناً.

فقطعوا الطريق عليه وعلى غيره ، ولا تقبلوا قيادة غير رجالكم الذين لا يعصون الله أبداً. نسأل الله أن يجمع بين قلوبنا ، ويشتت صفوف عدونا، و يجعل لنا من بعد عسر يسراً، إنه سميع مجيب.

المجاهدون الأفغان

إرادة فولاذية استعداداً للمعركة النهائية

في قرى إقليم لوغار الواقع إلى الجنوب قليلاً من كابل ، يبدو أن كل الأسباب تدل على أن نتيجة الحرب أصبحت لمصلحة المجاهدين الأفغان وأنصارهم من المدنيين؛ فقد طوق المجاهدون الأفغان العاصمة الإقليمية هناك ، وبات شريطاً من المبني الآيلة للسقوط طوله نصف ميل هو آخر معاقل الحكومة في هذا الإقليم.

كما سيطر المجاهدون على الطريق المؤدية إلى الشمال باتجاه العاصمة، وقطعوا خطوط الإمداد الحكومية الحيوية إلى ثلاثة أقاليم.

وفي كل يوم ، تصل الحافلات المحملة بالمدنيين من كابل ، ويتحدث هؤلاء عن تعمق الصراعات بين صفوف الحزب الشيوعي الحاكم ، وكذلك عن احتمال سقوط النظام المدعوم من قبل

موسكو - وهو ما يراه معظمهم أمراً يتذرع الحيلولة دونه - عند اكتمال انسحاب القوات السوفيتية.

وكانت القوات السوفيتية قد أوقفت انسحابها يوم ١٩٨٨/١١/٤ في أعقاب تزايد هجمات المجاهدين ، وكان النائب الأول لوزير الخارجية السوفيتي قد صرّح بأن هجمات المجاهدين على الوحدات السوفيتية منذ بدء الانسحاب السوفيتي- قد بلغت (٥٥٠) هجنة ، وأن تلك الهجمات قد شملت (٨٨) هجوماً بالصواريخ و (٤٠) هجوماً آخر على نقاط حراسة عسكرية سوفيتية، وتم خضعت عن سقوط (٧٥٠) قتيلاً في العاصمة وحدها.

ومن ناحية أخرى فقد حذر النظام الحاكم في كابل من أنه سيقوم باستخدام صواريخ سكود السوفيتية البعيدة المدى والتي زُود بها حديثاً من قبل موسكو ، ضد قواطع المجاهدين في محاولة منه للحد من تزايد قصفهم.

الأوبزرفر ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٨ م ، التايمز ١١ / ٥ / ١٩٨٨ م

محنة التعليم الإسلامي في إندونيسيا

إذا كان من الصعب إلغاء التعليم الإسلامي بصراحة في بلد ذي أغلبية إسلامية ، فإن من السهل جداً الاحتيال على هذا التعليم حتى لا يؤدى النتائج المنظورة ، وذلك عندما يأتي دور التنفيذ للتوصيات الدولة في هذا المجال ، فإن الجهات التي يوكل إليها تنفيذ التوصيات تعرف عملها جيداً ، فتفقوم بالواجب خير قيام ، حيث إن هذه الجهات غالباً ما تكون غير راضية لا عن الإسلام ولا عن ما يتعلق به من تربية وتعليم ، فتوئمن على أمر يسوءها أن يكون من ورائه نتيجة إيجابية تعود على المعنيين الذين شرع لهم "ومن استرعى الذئب ظلم".

هذا ما حصل في بلد يشكل المسلمون فيه الأكثريّة الساحقة من السكان ، ولكن لأجل خواطر الأقليات الأخرى فيه يحرم الأطفال المسلمين من معرفة حدود هويتهم الإسلامية ويخضعون لتعاليم أخلاقية مائعة لا لون لها.

فقد أقر تشريع جديد في إندونيسيا يهمل التعليم الديني الإسلامي في المدارس الحكومية ، ويوضع بدلاً منه معلومات عامة مستوحاة من "البلانتشيلا" وهي مجموعة مبادئ مستحدثة تقوم على أسس وثنية وتاريخية وقومية واتخذتها حكومة إندونيسيا لتكون بدلاً عن العقيدة الدينية.

حتى المدارس الخاصة التي يمكن أن توفر تعليماً إسلامياً يسد بعض النقص الذي تسببه المناهج الرسمية قد سحب البساط من تحت أقدامها وستصبح غير معترف بها ، وهذا فما على المسلمين إلا أن يهملوا دينهم رسمياً وشعبياً وينبذوا في خضم الأقليات الصينية واليابانية والمسيحية التي تتحكم بها.

وقد يكون هذا التخلّي منطقياً ولكن بشرط أن يقابله تخل آخر من هذه الإقليمية عن خصوصياتها وشراعتها لابتلاع الأكثريّة ، فهل هذا هو حالها؟ لا ، بل إن هذه التشريعات ما وضعت إلا لقوىتها وزيادة سطوطها لاقتراس الأغلبية الصامتة التي تجرد من كل أسباب المقاومة يوماً بعد يوم.

إن النظام الحاكم في إندونيسيا نظام أقلية قام على أساس العنف والمكر ، تحتكر السلطة فيه حفنة من العسكريين الفاسدين وأصحاب رؤوس الأموال من الصينيين والنصارى ، وزيادة في سوءه

فإنه يتلقى الدعم من الشركات المتعددة الجنسيات في الخارج ومن مجلس الكنائس العالمي الذي يصر على تصدير هذا البلد بأعداد مسلميه الهائلة.

وهناك ظاهرة تلفت النظر وهي الهجرة الصينية الكثيفة منذ بداية السبعينيات إلى الآن ، أفواج هائلة من الصينيين تأتي عبر سنغافورة وهونج كونج بشكل غير قانوني ، ولكن بتآمر مع الأوساط الرسمية في البلاد ، ومن المعتمد ملاحظة "أندونيسيين" في كثير من المدن يحملون كافة الأوراق الثبوتية والوثائق التي تثبت أندونيسيتهم رغم ملامحهم الصينية ورغم أنهم لا يتكلمون كلمة واحدة من اللغة الأندونيسية.

المشكلة نفسها التي حصلت للخليج حصلت في أندونيسيا هناك.

إن النظام التعليمي في أندونيسيا متوجه إلى الانقسام إلى شعوبين:

١ - الشعبة العامة وهي تعليم كمي متوجه إلى عامة الشعب همه محو الأمية دون عمق.

٢ - الشعبة الخاصة وهي تعليم نوعي ونخبوى يسعى إلى تخريج طبقة هي المؤهلة للإمساك بزمام البلاد ، وقيادة نتاج الشعبة العامة، وهذا غالباً ما يكون تحت سيطرة وتمويل وتوجيه البعثات النصرانية.

الداء واحد في كل البلاد الإسلامية وهو يقطة الأعداء وتصميمهم وتعاونهم فيما بينهم ، وغفلة المسلمين ، وذهب ريحهم في الخلافات.

هل ينتظرون إلا أن يصبحوا أقلية حتى ينتبهوا إلى المشاكل التي تعصف بهم فيحافظوا على وجودهم من الانفراط؟!.

حدث في زنجبار

إذا أردت بطاقة للعبور إلى الشهرة، أو لتسليم منصب مهم، فالامر لا يحتاج إلى مؤهلات كثيرة ومعقدة، كل ما هو مطلوب أن تقف على منصة في اجتماع عام لحزب أو منظمة وتهاجم الإسلام، أو شيئاً من تعاليمه، وعندها ستصبح نجماً شهيراً، وبطلاً مكافحاً، ومناضلاً وطنياً ، ولكن ضد من؟ ليس ضد الإسلام طبعاً! ولكن ضد الرجعية والتخلف وعدم مسايرة التطور وروح العصر.... إلى آخر ما في جعبة مهاجمي الإسلام والمسلمين بالهجوم على شرعه ومبادئه.

هذا ما حصل في تانزانيا المؤلفة من اتحاد ما كان يعرف بـ "تانجنيكا وزنجبار". فقد وقفت عضوة في الاتحاد النسائي الذي هو منظمة تابعة للحزب الحاكم في البلاد: حزب السفاح نيريري الذي لازال له تأثير كبير في مجرب الحياة هناك على الرغم من أنه ليس الرئيس الفعلي للدولة - وقفت لتكييل التهم والهجوم على الشريعة الإسلامية ، وطالبت بإزالة كل ما يمت إلى هذه الشريعة بصلة من قوانين ، وخاصة قضية تعدد الزوجات.

ولدى معرفة المسلمين بهذا الهجوم المشين على دينهم وعلى عقيدتهم أعلنو احتجاجهم على ذلك، والنتيجة المنتظرة معروفة، كما يحصل في كل أرض إسلامية للمسلم عندما يعبر عن رفضه للهجم على دينه بأي وسيلة ، تتدخل قوات الأمن لا بخراطيم الماء والقنابل الدخانية بل بالذخيرة الحية ، فيسقط القتلى والجرحى ، وعندما لا تستطيع الأجهزة الرسمية نفي سقوط القتلى تقل عددهم إلى الحدود الدنيا: قتيل أو قتيلان وبضعة(!) جرحى.

ومن جهة أخرى: فقد أقالت وزارة التربية أربعة مدرسين زعمت أنهم متورطون في مؤامرات سياسية للتحريض على العصيان وبث الفوضى في المدارس ، وقد ورد بمرسوم لوزارة التربية أنه سيعاد تعين الموظفين المعينين في وقت لاحق في وظائف أخرى.

وقد كان من جملة الاتهامات لهؤلاء تشويههم لسياسة البلد وتورطهم في أعمال تخريبية. ووجهت إنذارات إلى مدرسين آخرين ومسؤولين في وزارة التربية بجزيرة "بامبا" أقيموا من أعمالهم بانتظار مزيد من التحقيقات.

والقضية في زنجبار ليست هي تهجم "آني" على دين أهل البلد ، بل هي أبعد من ذلك ، وجذورها تعود إلى (الاتحاد بالإكراه) الذي حصل للجزيرة مع البر الإفريقي ، نتيجة للقصف بالقتابل ، والمذابح الجماعية التي قام بها الكاثوليكي المتعصب جوليوس نيريري وأنصاره ضد أهل البلد ذوي الأغلبية العربية الإسلامية.

وفي ظل هذا الاتحاد بين جهتين غير متكافئتين تراجعت أهمية الجزيرة التي كانت مركزاً اقتصادياً كبيراً الأهمية في شرق أفريقيا ، وغدت مكاناً مهماً حين جرحتها القوى الصليبية من تأثيرها ، وهي ماضية لتجريدها حتى من وجهها و هويتها.

أخبار حول العالم

الإحصائيات تؤيد الفروق الطبيعية بين الجنسين

جميع المحاولات المحمومة لدى العاملين دعاة المساواة بين الجنسين ، مدعى البحث العلمي المجرد ، المعادين للتفرقة الجنسية؛ والأمهات اللاتي يشتغلن في أعمال ميكانيكية ، والأقارب الذين يشترون لبنات أقاربهم آلات ميكانيكية ، كل هذه الجهود باعث بالفشل ، فالبنات الصغيرات اخترن أن يكن ممرضات ، وطبيبات ، لا مهندسات.

فقد أجرت شركة "كالاردو بوسر" لصناعة الحلوى دراسة ميدانية لطلبات السوق ، فسألت (٥٧٩) طفلاً تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١١ سنة عن رغباتهم في العمل عندما يكبرون ، فكان معظم الأجروبة - إن لم تكن كلها - تقليدية (يقصد كل جنس اختيار ما يناسبه) ، فقد عبر ١٧٪ من البنات عن رغبتهن في أن يصبحن ممرضات ، واختارن ١٠٪ منهن الحلاقة ، في حين حبذ ٩٪ منهن التعليم. أما البقية فقد كن يتطلعن إلى العمل كطبيبات للحيوانات ، أو مضيفات في شركات الطيران ، أو سكرتيرات أو بائعات في الأسواق المركزية ولم تحبذ الهندسة إلا بنت واحدة ، ولم تختار أية واحدة العمل في إطفاء الحرائق أو أبحاث الفضاء أو القوات المسلحة.

أما الذكور ، ففضل أكثرهم الرياضة - ١٧٪ منهم ، واختار ٤٪ منهم الالتحاق بالشرطة مقابل ٥٪ لدى البنات ، والباقيون اختاروا قيادة الطائرات وأعمال البناء والنجارة والأعمال الميكانيكية وقيادة الشاحنات ، ولم يختار أحد منهم التمريض أو الحلاقة واختار اثنان فقط التعليم.

وقد فضل ١٠٪ من الفتيات العمل مع الأطفال والرضع بينما رفض الذكور ذلك ، وفي حين اختار ١٢,٥٪ من الذكور العمل في مجالات السيارات والدراجات وغيرها من وسائل النقل فإن نسبة الفتيات التي اختارت ذلك لا تزيد عن ١٪.

الاندبندنت ١ / ٩ / ١٩٨٨

غزل شيوعي يهودي

أعلنت اللجنة العالمية للهجرة يوم ١١/٢ أن هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي قد وصلت أعلى حد لها في شهر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي منذ عام ١٩٨٠ م حيث بلغ عدد اليهود الذين سمح لهم بالهجرة في ذلك الشهر وحده (٢٤٧٣) فرداً. وأضافت اللجنة أن الاتحاد السوفييتي كان قد سمح لـ (١٤٢٨٨) يهودي بالهجرة هذا العام وأن (١٢٣٢) منهم فقط توجهوا إلى فلسطين.

ومن جهة أخرى فقد وافق مسؤولون سوفييت على السماح بتدريس اللغة العبرية وهو ما كان يعتبر في الماضي جريمة تستحق العقوبة كما تمت الموافقة على السماح لليهود بالمشاركة بالمؤتمر اليهودي العالمي ، جاء ذلك على لسان مسؤول في المؤتمر المذكور.

وفي برلين الشرقية حيا رئيس المؤتمر اليهودي العالمي الزائر موقف الحكومة الشيوعية تجاه اليهود الذين قتلوا في الحرب العالمية الثانية على أيدي النازيين واستعدادها لدفع تعويضات مالية مرضية لليهود الذين يقيمون حالياً خارج ألمانيا الشرقية. وذكر أن التعويضات ستبلغ (٦٠) مليون دولار. وينظر إلى موقف الحكومة الألمانية هذا على أنه محاولة لتمهيد الطريق لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، وكان رئيس الوزراء الألماني الشرقي قد ألمح بشكل واضح قبوله بحق إسرائيل بالوجود.

الجارديان ٨٨/١٠/١٩ ، التايمز ٨٨/١١/٣

* * *

عندما تكيل الصحف الغربية بصاعين!

أدى رئيس الوزراء التركي فريضة الحج العام المنصرم ، وهو حدث كان ينبغي أن يكون عادياً جداً وأن يمر دون الوقوف عنده ، ولكن الصحف الغربية التي عودتنا على الكيل بصاعين ، فيما يخص الأمور الدينية ، وعلى سلوك سبيل التهويل وتحميل تصرفات بعض الناس دلالات بعيدة لم يعجبها هذا الأمر ، كما لم يعجب العلمانيين داخل تركيا ، فمن جهة أشارت هذه الصحف إلى أن أول رئيس وزراء تركي بعد زوال الدولة العثمانية يؤدي فريضة الحج ، ومن جهة تبدي أسفها لذلك العمل الذي "لابد أنه قد سبب آلاماً لروح كمال أتاتورك في قبره" كما عبرت عن ذلك بعض الصحف البريطانية.

والغريب أن هذه الصحف لا تستغرب إذا قام أي زعيم غربي بأي عمل له دلالة دينية ، بل تتوه بذلك وتشيد به ، فقد أفردت كافة الصحف الغربية صفحات للصور والتعليقات التي رافقت زيارة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا للاتحاد السوفييتي وأكثر تلك الاهتمامات انصرف إلى زيارتها للكنائس التي رفع عنها الحظر ، وكذلك أحبط تعاطفها مع جماعة التضامن في بولندا بدعاية كبيرة ، وكذلك حجها إلى قبر القس الذي قتله الشرطة هناك لتعاطفه مع حركة التضامن ، بل إنها استشارت بابا الفاتيكان قبل زيارتها لبولندا.

هل للوقاحة حد عند هؤلاء الذين يسرهم أن يكون المسؤول المسلم لا دين له خشية أن يؤذى قيامه بشعار دينيه روح طاغية في قبره ، وما الذي يجعل لهؤلاء حقاً في إظهار عواطفهم الدينية ، بينما

يعتبر ذلك مستهجناً من مسؤول في بلد يدين أهله بالإسلام؟ أم أن للعلمانية في المجتمعات الإسلامية معاني أخرى؟!.

تمت بحمد الله
